روايات احلام

نداء المستحيل

sarah

www.rewity.com

لم تستطع مايسي، حتى في أحلامها، أن تنسى نظرة الغضب التي صوّبها نحوها كورد باكلير في ذلك اليوم البعيد. وها هو الآن يأتي بعد عشر سنوات ليواجهها قائلاً: «إما أن تدفعي الثمن أو تدفعه أختك».

إذا لم تقبل مايسي بعرضه ستدخل أختها السجن بتهمة السرقة. لكن كيف تستطيع أن تقبل وتربط نفسها برجل تأسره فكرة الانتقام للماضي، رجل حاولت جهدها، طوال سنين، أن تكرهه وأن تنسى حبها له؟

www.rewity.com
sarah

١ ـ بين نارين

نار تتأجج في المدفأة، تعطي ظلالاً حمراء، وترسل حلقات دافئة من النور فوق السجادة التي عاد بها والد مايسي هاريس يوماً من الشرق... تكتكت الساعة.. وتمطت القطة السيامية وأبرزت مخالبها وهي تحلم. وتكورت مايسي على نفسها كالقطة، فوق مقعد أثري قديم، وأكملت ما تبقى من غرز التطريز.

غرزت الإبرة في القماش متنهدة، ثم ألقته جانباً والتفتت ثانية الى الساعة، لقد تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل. قامت عن مقعدها وأخذت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً... ثم قطعت الغرفة نحو الباب، ثم عبر الممر الى غرفة أيغال الصغيرة. كانت الغرفة مبعثرة كالعادة... رف المدفأة الصغير مليء ببطاقات الدعوات، فناجين القهوة، صحون سحائر، الثياب ملقاة على الكرسي وعلى الأرض... محاولة زينة مكتظة بأدوات التجميل، أساور، خواتم، عقود... ثم تحرك هذه الغرفة... وكم تكره الفوضى!

ترددت قليلاً.. ثم فتحت خزانة الملابس وتساءلت.. لِمَ فعلتِ ذلك يا أيغال؟ المعطف لا يزال مكانه، والفساتين أيضاً.. حدقت مايسي بالملابس محتفظة بهدوء وجهها المعتاد، ثم مررت يدها فوق فرو السترة البني الناعم.. فأحست بالذعر يقبض على

عضلات معدتها من جديد.. من أين لأبيغال كل هذا؟ حتى هي التي لا تهتم بالملابس تعرف أنها غالية الثمن.. أحد هذه الفساتين من تصميم وصناعة «ديور».. الفرو من «سان لوران»، ولا يمكن مطلقاً لشقيقتها أبي أن تشتري مثلها.. فراتبها كسكرتيرة في مؤسسة «باكلير ولا يشوود» للمحاماة، أقل بكثير من راتبها هي في المعرض. قد يكون ديكي قد اشتراها لها.. لكن مايسي لم تقتنع بهذه الفكرة.. ربما استعارتها.. لا بد أن يكون هناك تفسير منطقي لامتلاكها هذه الملابس.

تركت مايسي الغرفة بسرعة وعادت الى غرفة الجلوس. وقفت قرب النافذة وفتحت الستائر السميكة وراحت تتأمل ما خلفه تساقط الثلج فوق المدينة من مناظر خلابة. حيث انسدل ضوء القمر على بياض الثلج فانعكس سحراً على الليل الشتائي.

وكانت مايسي لا تزال مستغرقة في أحلامها، حين سمعت هدير محرك سيارة، ثم تلاه صوت الإطارات وقد أوقفتها المكابح.. ثم تناهى إليها صوت الموسيقى من راديو السيارة.

تراجعت مايسي الى الوراء وأسدلت الستائر.. وسمعت صوت إغلاق الباب في الأسفل ووقع أقدام أبي على السلم. فجلست على المقعد وأمسكت قطعة القماش بيدها، عليها أن تبدو هادئة وأن لا تفقد أعصابها.. لا بد من وجود طريقة تدفع أبي لشرح كيفية وصول هذه الثياب الثمينة الى حوزتها، فهي ما تزال مسؤولة عنها، ولطالما كانت كذلك.

توقفت أبي أمام الباب يوجه متجهم:

ـ أوه.. لا زلت صاحية.. حسبت أنك نمت منذ ساعات.

رفعت مايسي نظرها إليها.. كم تبدو جميلة.. لقد ورثت

الشعر الأسود الكثيف عن أمهما.. وخلعت أبي الشال الحريري عن كتفيها العاريتين فشعرت بقشعريرة خفيفة فأسرعت نحو النار وركعت قرب القطة، وظهرها الى شقيقتها.

ـ هل يدفؤك ما تلبسين؟

ـ أوه.. لا تكوني مزعجة مايسي.. تبدين أحياناً كعمتي العجوز كارلا! بالطبع كنت دافئة، فالسيارات مجهزة بوسائل للتدفئة هذه الأيام. ألا تعلمين؟

ـ لكنها ليلة باردة.. وظننت أنك سترتدين المعطف الفرو.

فلمعت عينا أبي والتفتت بسرعة.

ـ هل دخلت غرفتي؟

ـ أحل.. لأفتش عن قماش التطريز

تكلمت أبيغال. وعلمت مايسي انها تحث عن الكذبة التي ستقولها لها. فقالت بصوت صامت.. وأخذت أبي كتفيها:

ـ هكذا إذن. حان وقت الاستجواب.. ولهذا أنت بانتظاري

وتابعت بصوت

ـ يكاد يكون هذا استجواباً. لكنني أنتظرك.. ولو لم أفعل لما استطعت الإمساك بك.. صحيح هذا أبي؟ أنت دائماً مستعجلة.. ولا وقت لديك للتفسير.

صاحت أبيغال بحدة:

ـ ما الذي يجعلك تظنين انني مدينة لك بتفسير؟ كم أتوق بعد سنة من الآن لأقول لك أن تذهبي الى الجحيم!

فابتسمت مايسي بحزن:

ـ هذا بعد سنة من الآن... ولكن في الوقت الحاضر لازلت

www.al-mostafa.com

مسؤولة قانونياً عنك. أنت في العشرين من عمرك فقط.. أبي، ألا يمكنك فهم هذا؟

- وأنت في الخامسة والعشرين.. فما الغريب في الأمر؟ أنت لستِ أمي!

تألمت مايسي من كلامها. فأبيغال بالكاد تذكر أمهما... وما كانت أمهما ستفعل ما تفعله هي الآن. كانت ستترك أبيغال تفعل ما يحلو لها، كما كانت دائماً. وربما هي على حق.. فهذا أسهل.

- أبيغال.. أرجوك.. لم أختر هذا الوضع بنفسي.. ولكن بما أن الأمر هكذا..

- هذا أمر ممتع بالنسبة لك فلا تتظاهري بغير ذلك ولطالما كنت كذلك حسبما أذكر. وربما أنك أنت التي حصلت على المال أنا لا أستطيع فعل شيء.. أليس كذلك؟

- هذا غير صحيح! لم أكن أريد المال مطلقاً ولا شأن لي به واعلمي أنه يكاد أن ينفذ.

- على أقساط مدرستي؟ لا أصدقك!

- على هذا وأشياء أخرى.

فضاقت عينا أبيغال مشككة:

- لا أستطيع التفكير بشيء.. فأنت لا تصرفين المال مطلقاً، ولا تخرجين، ولا تقابلين أحداً.. لا تشترين شيئاً. كل ما تفعلينه هو العمل، والعودة إلى المنزل لتنامي في سريرك.. حسناً فلا تتوقعي مني أن أعيش حياتك. لقد ينتهي بك الأمر لتكوني عانساً لعينة!

- أبيغال.. أنت مجبرة للإجابة على أسئلتي.. من أين أتيت بكل هذه الملابس؟

- اشتريتها طبعاً. وما غير ذلك؟

لاحظت مايسي أن أختها لم تستطع النظر إليها، بل التفتت الى الناحية. فتنهدت. وأجفلت أبيغال:

- هل اعتقدتِ أن ديكي هو الذي اشتراها لي؟

- لم أعتقد شيئاً. أبي.. انظري إليّ.. إنها ملابس غالية الثمن جداً... حتى أنا أعرف هذا.. وأتساءل ما إذا كنت قد استعرتها؟

فاستدارت أبيغال بعنف لتقول ساخرة:

- استعرتها؟ هل أرتدي ملابس استعملها شخص آخر؟ لا.. مطلقاً! أتظنين أنني أذهب مع ديكي الى كل هذه الأماكن الفخمة وأنا أرتدي ملابس مستعملة؟ لا.. فهذا ليس أسلوبي!

وضحكت. حينما عاد بها حيث تصير.. عادت أبيغال تذاعب فراء الثعلبة، وقد بدا عليها القلق والاضطراب. فأحست مايسي بالشفقة والعطف عليها.. مهما بالكاد.. فإن أمهما وتحملتا سلسلة لا تنتهي من وصايات العمات والخالات والمربيات، أما والدهما فكان دائم الرحال والتنقل حول العالم. وليس عجيباً أن تكون أبيغال - هي أيضاً - عنيدة، قوية الإرادة، تحاول الحصول على ما تريد بأي ثمن، ثم لا تلبث أن تملّه بسرعة.

- أبي.. أرجوك.. لا تدعينا نتشاجر.

ومدت يدها إليها.. فجأة التفتت أبيغال وأمسكت بيدها. والتقت عيناهما، فلاحظت مايسي ارتباك أختها الواضح جلياً على وجهها وعينيها الدامعتين. فتنهدت.. إذن هي محقة بشكوكها، فقالت مايسي بلطف:

- اخبريني.

- آه ماي! أنا في مأزق!

www.elbeity.com

جذبت مايسي أختها لتجلسا معا على السجادة أمام المدفأة. وابتسمت لها فهي تفهم مزاج أبي المتقلب ودفاعها الحاد دائماً كان يبشر بالاعتراف. ضمتها مواسية وقالت لها بنعومة:

- لا يمكن أن يكون الوضع بهذه الخطورة.. اخبريني.. فأنت تعرفين أني لا أتخلى عنك وأني على استعداد دائم لمساعدتك.

فقالت أبي باكية:

- لن تستطيعي هذه المرة! لن يستطيع أحد..

- بالطبع أستطيع!

- ثمن هذه الملابس من مال سرقته.

حدقت بها مايسي مذهولة غير مصدقة:

- سرقته؟ أبي.. لا يمكن أن تكوني فعلت هذا!

فرفعت أبيغال رأسها:

- لقد فعلت.. كنت بحاجة لبعض المال.. وذلك بعد مقابلتي لديكي.. كان يأخذني الى أماكن فخمة، وأردت أن أبدو أنيقة مثل باقي الفتيات الثريات اللواتي يرتدن هذه الأماكن الفخمة...

- لكن أبي.. كان لديك الكثير من الملابس...

- لا.. كلها ثياب قديمة بالية شاهدني الجميع عشرات المرات أرتديها... أردت التأثير على ديكي.. وعلى تلك المرأة المتاكسة أمه... أحب ديكي يا ماي، وأريد الزواج منه.. اللعنة!

- ولكن.. من أين حصلت على المال؟

- من المؤسسة.

أحست مايسي بتصلب شرايينها.. وحدقت بشقيقتها غير مصدقة.

- من مؤسسة باكلير ولابنود؟ أبيغال كيف فعلت هذا؟!

عادت أختها للبكاء:

- لقد فعلت! بدا الأمر بسيطاً، وهذا فظيع. أعرف أنك تعتبرين أصحاب المؤسسة محامين وأوصياء على العائلة لكنهم ليسوا وكلاء لعائلتنا فقط، إنهم وكلاء كبار الأثرياء أيضاً. وهناك زبونة لهم... عانس عجوز حمقاء، سلمتهم كل أعمالها.. وهي مجنونة بحب الحيوانات.

وضحكت بسخرية قبل أن تكمل:

- طبعت لها وصيتها بنفسي فقد تركت كل أموالها اللعينة لربع ملجأ سخيف للقطط المشردة!

- وماذا بعد؟

- فكرت أن هذا هدراً للمال.. والمؤسسة ترسل لها دائماً شيكات، بمبلغ القوائد من اسهمها، وهي تصرفها على الحيوانات.. لدينا في المكتب دفتر شيكاتها، وكان السيد باكلير العجوز يملأ اسم المستفيد، ويوقعها بالنيابة عنها ثم يرسلها شهرياً الى حيث تذهب.. وكنت أطبع القائمة، وأرسل الشيكات بنفسي. ثم.. منذ حوالي الثلاثة أشهر، مرض السيد باكلير العجوز. وترك كل الشيكات على طاولته.. فأخذت بعضاً منها، ثم حررت الشيكات باسم المؤسسة وأخذتها الى المصرف، ليس دفعة واحدة بالطبع، وصرفتها.. دون أن يشك بي أحد، فأنا معتادة على صرف شيكات المؤسسة.

وحدقت مايسي بشقيقتها برعب:

- لكن الشيكات بحاجة الى توقيع.

فردت أبيغال:

- أوه.. هذا أمر بسيط! أستطيع تقليد توقيع السيد باكلير

www.rewity.com

وعيناي مغمضتان. وكنت أنا من يطبع اللوائح، وأغير الأرقام...

- أنت.. زورت توقيع السيد باكلير؟

- حسناً.. كنت مضطرة.. لن يصرفوا الشيكات وتوقيعي أنا عليها.

شعرت مايسي بالغثيان.

- كم.. كان المبلغ.. أبيغال؟

- ليس بالكثير..

- كم؟

- حوالي الأربعة آلاف دولار.

فشهقت مايسي مصدومة. وأحست برأسها يدور.. وبدأت على الفور بالحسابات المعقدة.. كم بقي من مالها؟ لو أنها باعت آخر مجموعة من اسهمها؟ واستدارت أبيغال لتدفن رأسها في حجر شقيقتها وقالت بصوت مختنق:

- أوه ماي.. أنا آسفة.. لست أدري ما دهاني.

ومسحت مايسي شعر شقيقتها وضمتها الى صدرها وحافظت على رقة صوتها وهدوئه وهي تقول لها:

- أبيغال.. اسمعي.. ما من فائدة الآن من الكلام.. لا أستطيع التفكير كيف تمكنت من فعل هذا، ولكن بما أنه حصل وانتهى الأمر، يجب أن نفكر بمخرج. أليس كذلك؟ اصغي إلي.. معي بعض المال..

على الفور جلست أبيغال متسعة العينين:

- كم؟

فردت ببطء:

- أظنه يكفي.. غداً سنذهب معاً.. ونشرح ما حدث..

وستعتذرين وندفع المال، وأنا واثقة أن باكلير العجوز سيرف...

- الأمر ليس بهذه البساطة!

- آبي.. كل شيء سيكون على ما يرام. وسترين. ستضطرين للاستقالة، فأنت لم تحبي يوماً تلك الوظيفة أصلاً.. والسيد باكلير العجوز كان.. مولعاً بأمنا.. ومن أجلها، أنا واثقة أنه لن...

- أوه... مايسي.. لقد نسيت لك من شهر مضى إنك لا تستطيعين رؤيته.. إنه مريض جداً ولم يحضر الى المكتب منذ أن أصابته النوبة القلبية...

وتملك الخوف قلب مايسي:

- إذن.. من أستطيع أن أقابل؟

- كورد باكلير.

- كورد؟

- أجل... برأيك ما هي فرص النجاح معه؟ أتظنين كورد باكلير سيتركني بكل أدب مع اعتذار، وشيك ملائم.

وعادت الذكريات بمايسي الى يوم صيف منذ سنوات بعيدة... يوم جنازة أمها. كانت تقف قرب القبر، ومعها شقيقتها والشمس تلمع فوق رأسيهما وعينان محدقتان قاسيتان مصوبتان نحوهما فيهما نظرة ازدراء، قاسية، أوه... أجل هذه كانت آخر مرة شاهدته فيها، لكنها تذكر كورد باكلير جيداً... وتنفست الصعداء ثم قالت:

- لا.. في هذه الحالة لا فرصة لنا.

فمالت أبيغال إليها وقالت بإلحاح:

- ألا ترين؟ لهذا السبب كنت متوترة في الأسبوع الماضي. كان يجب علي أن أخبرك... لقد جاء كورد ليشرف على المؤسسة في

www.liilas.com

غياب والده، عندما سمعت الخبر عرفت أن الأمر مرهون بالوقت.. أوه ماي! سيكتشف الأمر.. لقد طلب جردة كاملة... وما أن يعرف...

صمتت وأطرقت برأسها. فقال مايي:

- أتظنين أنه سيفاجئك؟

- أعرف أنه سيفعل! وقد يتولى القضية بنفسه!

- حتى لو شرحت له الموقف أو أعدنا له المال...

- هذا لن يؤثر فيه... أنت تعرفين كم هو قاسي القلب. وهو يكرهنا! ويكره أمنا. لطالما قلت لي ذلك! وسيكون سعيداً بهذا أليس كذلك؟ لو فعل لانتهى أمري.. ولن يتزوجني ديكي مطلقاً أوه.. ماي.. أتمنى لو أموت!

ضمت مايي شقيقتها بحنان، محاولة التخفيف عنها:

- لا بد أن هناك شيئاً نستطيع فعله...

- شيء واحد فقط.. تستطيع الذهاب الى ليبو.. أوه لن استطيع التحمل.. هناك المزيد لم أقله لك...

- المزيد؟ هل له علاقة بليو؟

- أوه.. أعرف رأيك بليو.. لكنه ليس سيئاً كما تظنين! إنه أفضل من أخيه الرهيب. على الأقل ليس بارداً.. إنه...

وأغمضت مايي عينيها.. وبدأ رأسها يؤلمها.. كورد وليو.. لن يتركها الماضي وشأنها أبداً؟ ووكمت آبيغال أمامها:

- ماي.. اسمعي.. يجب أن أخبرك.. لقد أخبرت ليو بالأمر. وقال إنه سيساعدني... لقد وعدني...

- يساعدك؟ أتعنين سيكلم كورد؟

- بالطبع لا! فلن يهتم كورد بما قد يقول ليو.. قال إنه

سيحاول إخفاء الفضيحة.

- إخفاء الفضيحة؟!

- اسمعي.. لا تنظري إلي هكذا! قال إذا وجدت طريقة لدفع المال فسيصلح الدفاتر قبل الجردة. ولن يعرف أحد قط بما حدث.. أوه ماي.. ألا تفهمين.. إنها فرصتنا الوحيدة!

- تعنين المزيد من الأكاذيب؟

- وما الفرق؟ ستستعيد تلك المرأة الحمقاء العجوز مالها.. ونتجنب الفضيحة. ثم أنا وديكي.. لكن هناك مشكلة.. ليو اشترط أمراً.

فشهقت مايي بحدة:

- شرط؟

فأجابت آبيغال رأسها:

- قال إنه.. سيفعل هذا لأجلي.. إذا أقمت علاقة معه.

صاحت مايي بالدم يغلي في عروقها:

- ماذا؟!

فرفعت آبيغال رأسها وصاحت:

- وهل هذا أمر فظيع؟ لطالما كان معجباً بي. وهو يعلم أنني لست مثلك أنت.. ليس سراً في المكتب أنني.. حسناً... «مودرن»... يعلم علاقتي بديكي.. أوه.. أنت تعلمين ماي.. كان لي علاقة عندما كنت في السادسة عشرة. ألا تفهمين؟ الأمر كله نوع من المزاح! غير أنه يعني ما يقول!

- أتظنين هذه مزحة؟ إنه أبشع شيء سمعته في حياتي!

- أوه لا تكوني متكبرة!

- متكبرة؟ أهكذا تنظرين الى الأمر؟

www.ewity.com

احمر وجه آيفال، وقالت:

- سيخرجني من ورطتي.

- لو كان عندك حد أدنى من الأخلاق، لما ورطت نفسك منذ البداية.

فرقاء آيفال وصاحت بحدة:

- اخرسي! أكرهك أحياناً مايسي.. دائماً تصرخين.. من السهل عليك الكلام، فأنت لم تجربي الحب في حياتك... فكيف يمكنك أن تفهمي؟ كنت بائسة، ألا تفهمين؟ بائسة. وكورد مسافر.. ولن يعود قبل الأسبوع المقبل. حتى ذلك الوقت ستكون الجردة جاهزة. عندها سينتهي أمري... وليو فرصتي الأخيرة. ألا يمكنك فهم هذا؟

حدقت مايسي بأختها في صمت، ثم قالت:

- كورد مسافر؟

- أجل.. ولكن ليو هناك كالعادة. ومعه مفتاح الخزانة حيث توضع دفاتر الحسابات.. وبإمكانه إصلاحها.. ولن يستطيع أحد غيره هذا.

- هل أستطيع رؤيته؟

- أوه ماي.. هل ستفعلين هذا؟ سيكون كل شيء على ما يرام إذن.. أنا واثقة.. إذا عرضت دفع المال.. وإذا علم أنك تعرفين. فأنا واثقة أنه سيتراجع عن طلبه.. ويمكنك إفهامه أمر حبي لديكي.. أرجوك ماي.. أظنك ستتجنين.

نظرت مايسي الى وجه أختها المبلل بالدموع، الأحمر اللون، وغمرت قلبها موجة من الحب والمسؤولية... انها لا تريد رؤية أحد منهما.. مجرد التفكير بالأمر يجلب حلقها.. لكن إذا كانت

مضطرة.. فهي تفضل رؤية ليو على رؤية كورد.

- سأقابل ليو، آيفال، هل تعديني أن لا تكرري الأمر ثانية؟

بالاندفاع نفوي عانقت آيفال شقيقتها وصاحت:

- بالطبع سأفعل! أوه ماي.. ليباركك الله كنت أعلم أنك ستساعدينني.

- أساعدك من أجل ديكي.. لأنك تحبينه.

- أنت الحبيبة! أوه.. ماذا أفعل من دونك!

واستغرقت مايسي في التفكير ثم قالت:

- غريب.. كنا نشاهد بعضنا كثيراً في الماضي.. عندما كنا صغاراً.. خاصة ليو.. كورد كان أكبر سناً، ودائماً في المدرسة. أتذكرين يوم ذهبنا نحن الأربعة الى فنكوفر عند عمتنا كارلا لقضاء العطلة الصيفية.

- بشكل غامض.. كنت وكورد دائماً معاً.. وكان الأمر مملاً بالنسبة لي. لكنني أذكر المنزل، كان على الساحل مقابل جزيرة فنكوفر... أليس كذلك؟

- أجل.. أجل.. لقد مر زمن طويل، ولست أدري إذا كنت سأعرف ليو الآن

فضحكت آيفال:

- لطالما حاول ليو تدبير لقاء بينكما، لكنك أنت كنت من يرفض.. فأنت حمقاء بالنسبة لمثل هذه الأمور.

فتنهدت:

- أجل.. ربما أنا كذلك.. حسناً سأراه في الغد. وربما من الأفضل أن تبقي أنت في المنزل غداً، الى أن أنهي كل شيء.

- ماي.. أتظنين حقاً أن كل شيء سيكون على ما يرام؟

www.rewity.com

ـ طبعاً.. وسأتمكن من انهاء الأمر. قد أكون امرأة.. لكنني أكثر من ند لليو باكلير.

ـ وكورد؟

ارتجفت مايسي ولم تجب.. وفكرت بصمت.. لا.. لست نداً لكورد.. لكنني لن أتعامل سوى مع ليو.. وليس مع شقيقه المحامي الشهير.

استعادت بذاكرتها تلك العينين الرماديتين الباردتين. فارتجفت دون وعي.. كانت المرة الأولى التي ترى فيها الحقد في عيني إنسان.. حتى في ذلك الوقت المبكر من عمرها.. فهمت معنى تلك النظرة..

أوه.. لا.. إنها لن ترغب مطلقاً في مواجهة كورد باكلير. والشيء الوحيد الجيد في كل هذا الأمر القطيع أنها لن تحتاج لمواجهته.

******

٢ ـ لا.. ليست هي

اهتزت يدا مايسي وهي تدفع ببطء الأبواب «الماهوغوني» الضخمة التي تذكرها جيداً منذ الطفولة. توقفت في الردهة، فالمكان كما تصورته تماماً. لم يتغير خلال السنوات العشر التي تجنبت فيها المجيء الى هنا بكل حذر. صور مؤسسي المؤسسة على الجدران. السيد لايتوود، المتوفي منذ زمن دون ترك أي وريث.. والسيد باكلير المحجوز في صورة له عندما كان في الثلاثين من عمره.. وهذه الطاولة الرخامية حيث كانت دائماً وعاء الغرفة الضخمة.

مشت على رؤوس قدميها عبر الردهة، لتصل الى السلم. أجل.. لقد حالفها الحظ. موظفة الاستقبال مشغلة بقراءة مجلة، فلم تنتبه لوجودها. واسرعت مايسي تصعد السلم بسرعة.. وعند أول فسحة له، توقفت للتأكد من اتباع تعليمات أيفال، وما تذكره.. أجل، هناك ممر صغير بعيد عن المكاتب الرئيسية... من هنا سمعت أصوات الآلات الكاتبة المخنوقة خلف الأبواب.. إنها تقصد الوصول الى الباب الذي في نهاية الممر، والأبواب الباقية هي لغرف الملفات.

بلغت الباب بسرعة، ثم دون تردد، طرقت مايسي الباب

بخفة، وفتحته، ثم دخلت لاهثة الأنفاس.

كان هناك رجل خلف الطاولة. حين فتحت الباب رفع رأسه عن بعض الأوراق أمامه، مجفلاً بشكل واضح. ووقف، دون حراك، ينظر إليها. ووقفت مايسي كذلك جامدة، وراحت تحدق به وقد جف فمها فجأة. بدا وجهه شاحباً، غير قادر على الحركة، وكأنه أمام شبح ... فتساقطت الأوراق التي يمسك بها لتقع على الأرض. حركة الأوراق المفاجئة أعادت له وعيه، فتغيرت سيماء وجهه، وأخذت عيناه تتجولان فيها، من قدميها حتى وجهها حيث توقفتا. ثم ابتسم، ابتسامة كرهتها على الفور، فقد نجح أن يسجل في بسمته مزيجاً من الإعجاب والوقاحة، وبسرعة دفعت مايسي الباب وراءها لتقفله.

حدق بها متفحصاً تفاصيل الجسد النحيل متسائلاً..

- ما هذه الزيارة العجيبة؟

وابتسم، بخبث ووقاحة.. فاضحاً تعويذة السحر العجيبة التي استحوذت عليها، لتجد نفسها غاضبة.. بل تغلي من الغضب.. غضب كبحته منذ حدثتها أبيغال.. هذا الرجل القذر الكريه! كيف يجرؤ على الابتسام لها؟ خاصة بعد الذي قاله لشقيقتها! وتقدمت الى الأمام. وقالت بهدوء:

- سيد باكلير؟ أنت لا تذكرني...

فقاطعها ببرود شديد:

- بالعكس، أذكرك جيداً. أنت مايسي.. أليس كذلك؟ مايسي هاريس.

الدهشة، أو شيء ما في طريقة لفظه لاسمها، جعلاها تتردد.. وجلس خلف طاولته، ووضع ساقيه فوق بعضهما، ليتكيء الى

الخلف برباطة جأش، يراقبها.. وأشار الى كرسي أمام الطاولة:

- لا تستغربي.. تفضلي اجلسي.. لذلك وجه لا ينسى، كما لكل أفراد عائلتك.

أحست مايسي بالدم يحرق وجنتيها.. لم تكن تتوقع ذلك. لقد كان رائعاً أكثر مما توقعت.. وتنحنحت قائلة بهدوء:

- لن أجلس. ولن أتأخر. أنظنك تعلم سبب وجودي هنا.

فرفع حاجبيه:

- وهل يجب أن أعرف؟

فازداد غضب مايسي وقالت ساخرة:

- أظن هذا.. لقد جئت من أجل شقيقتي.

- حقاً؟ تعنين أنك لا زلت تكرسين حياتك لحمايتها؟

كان يتحدث بهدوء في وقت يطير في عينيها، عيناه رماديتان باردتان، وللحظات ذكرها بأخيه، فتنفست بعمق لتثبت أعصابها... لا فائدة من الغضب، ويجب أن لا تثير غضبه، ويجب أن تكون مقنعة بطريقة ما.. ترددت قليلاً، ثم ابتسمت له أجمل ابتسامة استطاعتها:

- ربما الأفضل أن أجلس.

- تفضلي.

وبعد أن جلست، وضعت يديها معاً، مالت الى الأمام تثبت عينيها عليه. وبدأت:

- أخبرتني أبيغال كل شيء.. ليلة أمس.

- كل شيء؟

للحظات، رأت وجهه يتغير، ورأت شيئاً كالقلق الشديد يتحكم بعينيه، فتشجعت:

www.rewity.com

ـ أجل. أخبرني عن المال و... أرجوك ألا يمكن أن تفهم؟ ما كان يجب عليها أن تفعل ما فعلت، لكنها لم تدرك هذا سوى الآن. ولن يحدث هذا ثانية... فهي تشعر بخجل شديد، وقلقة حتى المرض حول ما حصل... وستطيع إصلاح الخطأ... أعرف أن هذا بإمكاننا! لقد أحضرت كل حساباتي المتوفرة واستثماراتي.. ولو استطعت بيع أسهمي، لأعطيتك المال الذي أخذته.

وصمتت.. فقد تغير وجهه، وأرعبها التعبير الذي اكتساه، لكنه لم يرد. فتابعت:

ـ ليتك تساعدنا فقط.. كما اقترحت على آيفال! أرجوك!

وضعت يديها على ظاولته، محاولة أن تنظر الى تعابير وجهه كي لا تتردد.. وأكملت:

ـ أتعلم؟ آيفال تحب.. وتريد الزواج. لكن إذا افتضح أمرها، فسينتهي كل شيء. فأسرته متدينة، ولن يسمحوا بمثل هذا الزواج.. وهذا ما سيحطم قلبها!

فابتسم بهدوء:

ـ أحقاً هذا ما سيحصل لها؟

فمالت الى الأمام وقد اتسعت عيناها:

ـ ألا ترى هذا؟ إذا أعدنا المال فلن يتضرر أحداً.. أليس كذلك! طبعاً أعرف أن عليها ترك عملها هنا، لأنها.. خانت ثقة أبيك بها، وهو من ساعدها بكل لطف.. لكن.. الآن.. حسناً. لو اكتشف أحاك ما فعلت.. وسيكتشف إذا لم تفعل أنت شيئاً... فما سيحدث واضح... أليس كذلك؟

ـ صحيح؟

ـ لكنك قلت لها بنفسك.. إنه سيقاضيها.. وسيكون مسروراً بهذا.. إنه يكرهنا.. نحن الاثنين.

ـ هكذا إذن!

حدق بها لحظات، ثم بحركة مفاجئة أخافتها.. وقف وقال باختصار:

ـ أخشى أن لا أستطيع مساعدتكما.

ـ لكنك قلت لها بالأمس...

ـ ما قلته لا علاقة له بهذا الأمر.

فجأة تولّب غضب مأيسي، فوقفت خلف الطاولة تواجهه. وصاحت به:

ـ بل له علاقة! كيف تجرؤ على مساومتها بأمر كهذا؟ تعد بمساعدتها إذا عقدت معها اتفاقاً قذراً!

ـ أعقد ماذا؟

ـ اتفاقاً، ابتزازاً! لطالما كنت كاذباً.. لم تتغير كثيراً يا ليو.. ولا حتى في عشر سنوات.. أليس كذلك؟

ـ لست أدري عما تتحدثين.

لكنها قاطعته بحدة:

ـ بل تعرف تماماً.. أيمكن أن تنسى تلك التغطية التي طبختها لها ليلة أمس؟ وهل ذاكرتك على هذه الدرجة من الضعف؟ كل ما يجري عمل قذر مقرف يجعلني أحس بالسقام! لكن على الأقل، آيفال آسفة على ما فعلت، وأنا أحاول مساعدتها. بينما كل ما أنت مهتم به هو كيف تبتزها وتجعلها تذهب معك الى الفراش.. أنت حقير ولا تحتمل!

ساد صمت طويل مشوتر لم تغادر عيناه خلاله وجهها. ثم

www.rewity.com

استدار ببطء وكأنما مكرهاً، جلس وراء الطاولة مجدداً. وعندما التفت لتلتقي عيناه بعينيها، كان قد استعاد رباطة جأشه. وأخذ يراقبها بوقاحة، ونصف ابتسامة على وجهه.

- إذن.. لقد اكتشفَ أمري... ضبطت... على يد الأخت الشريفة.

- كيف تجرؤ! أتعني بهذا أن أبيغال ليست..

فقاطعها رافعاً يديه:

- أوه.. أعرف تماماً ما هي أبيغال.

وهز كتفيه دون مبالاة.. فأحست بموجة قنوط تتملكها.. إنها تتناول المسألة بشكل خاطئ... لقد أغضبته أو فقدت أعصابها معه.. فانخفضت نظرها عنه وعادت تتكلم بهدوء:

- ما كان يجب أن أفقد أعصابي.. فهذا لن يفيد.. فأنا هنا لأقول لك شيئين، وأطلب منك شيئاً. أولاً: شقيقتي لا تنوي الاذعان لاقتراحك. ثانياً: سترد لك المال، كما قلت. وأخيراً: أتمنى أن تساعدنا لما فيه مصلحة أختي، ولا أجد وسيلة أخرى للتخلص من هذا المأزق أو طريقة أفضل أسلك سبيلها.

فرد بكل هدوء:

- يمكنك الذهاب الى كورد.

حدقت به غير مصدقة:

- لا بد أنك مجنون! إنه يكرهنا... بسبب أمنا!

- كان هذا منذ زمن بعيد.

- أعتقد أنه لم ينسَ! إنه يلومها لطلاق والديك... هذا ما يجب أن تعرفه.

- كانت ملامة.

أحست مايسي بشحوب وجهها.. هذه هي الحقيقة... لكنها صدمة أن تسمعها بصراحة من شخص آخر، خاصة ليو، وأكمل يقول:

- قد يساعدك!

فاستدارت نحوه.

- كورد؟ إنه لا يساعد حتى رجلاً يحتضر في الشارع!

- أوه حقاً!

ووقف ثانية مبتسماً ببرود.

- إذن... ليس أمامكما أي خيار آخر. أليس كذلك مايسي؟ أنتما مضطرتان للاعتماد عليّ.

واستدار من نصف الطاولة متقدماً نحوها.. أجبرت نفسها أن تواجهه وأن لاتخرج مهزومة.

- هل ستساعد ابيغال؟

- أوه.. أجل.

- أتعني هذا؟

- طبعاً.. بشرط واحد صغير.

- لا!.. لقد قلت لك... أبيغال تحب... ولن توافق..

- أنا لا أتكلم عن أبيغال.

مد يده ليمسك ذراعها، فرق المرفق تماماً، وجذبها قليلاً نحوه وابتسم لها:

- أنا أتكلم عنك.

- ماذا؟

فضحك بخبث. ضحكة قصيرة كريهة مريرة... ورد بوقاحة:

- عندما اقترحت هذه الصفقة، لم أكن قد رأيتك بعد... منذ

www.liilas-library.com

عشر سنوات... والآن بعد أن رأيتك.. أتساءل عن معنى ملاحقتي لأختك.. لماذا ألاحق ما أستطيع الحصول عليه بسهولة؟ فأمامي من هي أكثر جاذبية... فهل توافقين مايسي؟

- أوافق على ماذا؟

فابتسم ببرود:

- أوه... هيا الآن... هل يجب أن أتلفظ بما ألمح إليه؟ سأفعل إذا أحببت... تعالي معي الى الفراش مايسي.. وسأسوي الأمور مع شقيقتك.

أصابت الصدمة تفكيرها، وملأ الخوف نفسها فرفعت يدها لتصفعه على وجهه صفعة بدت آثار أصابعها جلية على خده. فدفعت قبضته على ذراعها، لكنه لم يتركها، فانتزعت ذراعها وتراجعت بسرعة وهي ترتجف وقد ابيض وجهها.

- أيها.. النذل! كيف يمكن لك..

وأحست باختناق في حنجرتها، ولم تعد الكلمات قادرة على الخروج، واستدارت نحو الباب. فسمعت صوته البارد الهادىء يقول:

- لو كنت مكانك لفكرت بالأمر.. وبكل ما يتضمنه اقتراحي.

فتوقفت، واستدارت نحوه بحدة وهي تصيح:

- كيف تجرؤ على تهديدي؟ كيف تجرؤ على تهديد شقيقتي؟ سأجد طريقة للتخلص من هذا المأزق دون مساعدتك... ودون اقتراحك الوقح... انتظر... فسترى!

فضحك:

- أوه.. بالتأكيد سأرى.. لكنني أعتقد أنك ستعودين إليّ في النهاية... ألن تفعلي مايسي؟

- أفضل الموت!

وخرجت مسرعة من الغرفة دون انتظار لتصفق الباب وراءها بعنف.

عندما عادت مايسي الى الشقة وجدتها خالية.. تقدمت منها القطة تموء طالبة الطعام.. فوجدت لها علبة طعام جاهزة وأطعمتها.. ثم أخذت تنظف طاولة الطعام التي تركتها ايفال كما هي بعد الفطور.

دخلت الى غرفة الجلوس فأحست بالعياء في أطرافها! جلست، تحدق في رماد الموقد دون أن ترى شيئاً... لقد أدهشها غياب أيفال عن المنزل. وبمعزل عن هذا الشعور الذي تملكها، احتفظت بقلب بارد فهي لم تعرف كم بقيت هناء محبوسة مع أفكارها وذكرياتها.. لكن وقع أقدام على السلم أيقظها أخيراً، فوقفت وباب الغرفة يفتح وتدخل أيفال بصحبة ديكي... حدقت مايسي بشقيقتها بفزع. ثم سارعت نحوها قلقة.. كان وجهها شاحباً أبيض وحول عينيها دوائر سوداء، تستند الى ذراع ديكي، وقبل أن تصل إليها كان ديكي قد أجلسها على كرسي.. فسألته:

- ماذا حدث؟ أين كنتما؟

وبدا عليه الاضطراب.. القلق يظلل وجهه الصبياني الوسيم.. فهل قالت له ايفال؟ قال وهو ينظر الى أيفال بقلق:

- مايسي.. كم أنا مسرور لعودتك.. اتصلت بي أيفي صباحاً. كانت متوعكة.. ولقد أخذتها الى الطبيب.

ركعت مايسي أمام شقيقتها ممسكة بيدها، فأحست بها ساخنة جافة، بل محمومة.

- أيفي.. هل أنت بخير؟ ماذا قال الطبيب؟

www.rewity.com

- لا شيء... وربما اتفاوزا! أو شيء من هذا القبيل. لم يُقدني بشيء! ليتني لم أذهب إليه. كل ما قاله لي إنه يجب أن ألازم الفراش، وأرتاح.. وأبقى دافئة...

فابتسم ديكي وقال بنعومة:

- لن يضرك هذا حبيبتي! لقد أرهقنا أنفسنا كثيراً مؤخراً..

سارعت مايسي لتقول:

- سأشعل لك النار... والأفضل أن تبقي هنا اليوم أيضاً.. وسأبقى معك... سأتصل بالمعرض، وأنا واثقة أن مايك لن يمانع...

كان ديكي قد جلس على فراش مقعد أبيغال، وذراعه حول كتفيها، فقالت له مايسي:

- أتود بعض القهوة ديكي؟

نظر إليها بدهشة.. ثم وقف:

- أعتقد أنه من الأفضل أن أعود الى العمل... لقد تأخرت ما يكفي.. هل ستكونين على ما يرام حبيبتي؟ سأحضر لأراك حالما أنتهي من العمل هذا المساء.

فردت أبيغال بتوتر:

- أوه.. اذهب.. سوق القطع ستنهار إذا لم تكن موجوداً.. اللعنة! وكنا سنذهب الى تلك الحفلة الليلة.

- غير مهم لأنها ستكون مملة على كل الأحوال.. ارتاحي حبيبتي. سترعاكِ مايسي. سأعود في السابعة.. حاملاً معي طعاماً وبعض الشراب.. ماذا تحبين؟ سمك مدخن؟ نخاعات؟

فأدارت ابيغال وجهها عنه:

- فرو أنت.. فالتفكير بالطعام يسقمني.

سارعت مايسي للتدخل ملاحظة قطاطة شقيقتها، ورافقته الى الباب حيث قالت له:

- لماذا لا تتصل فيما بعد.. ستكون أفضل حالاً.

فابتسم:

- عظيم.. سأفعل.. سأحضر طعاماً خاصاً لنا جميعاً.. كل ما تحبه.. وتحبينه أنت..

عادت مايسي الى جانب أبيغال.. والتقت عيناهما:

- حسناً؟

- أبيغال.. أخشى أني لم أنجح.

- ماذا؟ ماذا تعنين لم تنجحي... يجب أن تنجحي! ماذا حدث؟ ماذا جرى؟ ألم تحصلي على المال؟

- لا.. حصلت على المال.

- وماذا إذن؟ سيكون كل شيء على ما يرام.. ألم تقابلي ليو؟

أغمضت مايسي عينيها وتصاعد الدم الى وجهها:

- أجل.. قابلته..

- إذن؟

- لن.. يساعدنا.. أبيغال.

حاولت أبيغال الوقوف، فتعثرت بالسجادة، وأمسكت بالمقعد ومالت الى الأمام، ووجهها الأبيض زانه بريق عينين سوداوين.

- لكن يجب أن يساعدنا! لقد وعدني يوم أمس. أوه.. يا إلهي! لقد أفسدت كل شيء.. أليس كذلك مايسي؟ ماذا قلت له بحق الجحيم؟ أوه.. لماذا أخبرتك... لماذا لم أتولى الأمر بنفسي.

أمسكت مايسي بيد أبيغال الساخنة لتعيدها الى الجلوس..

www.rewity.com

ـ ولن ينفعك هذا أيضاً.

ركعت أمامها، فجذبت أبيغال يدها.. وأكملت مايسي:

ـ اسمعي أبيغال، يجب أن نفكر بمخرج آخر. ليو لا يستطيع مساعدتنا.. ولن أقبل مساعدته وإن فعل... إنه.. فاسق مخادع.. أبيغال.. وأنا..

نظرت إليها أبيغال بريبة:

ـ ماذا تعنين بفاسق؟ ليو لا بأس به.. أما إذا كان حكمك المسبق عليه قد أفسد لي كل شيء ماي.. فلسوف...

ـ الأمر ليس هكذا.. لقد تمسك بعرضه.

ـ هكذا إذن. فهمت!

ـ لا أبي حبيبتي.. لم تفهمي.. لقد.. غير شروطه، ولاتجاه غير معقول أبداً.. إنه.. قال إنه سيفعل، ولكن.. لو ذهبت أنا معه الى الفراش..

ـ ماذا؟

ضاقت عينا أبيغال غير مصدقة، وحدقت بمايسي، ثم ألقت رأسها الى الخلف وضحكت.. وقالت بضعف:

ـ أوه.. يا إلهي! كم هذا مثالي منه! ما هذه النكتة؟ أنت من بين كل الناس!

قردت مايسي بشراسة:

ـ كان الأمر سريعاً... فهو لا يخجل أبداً.. حاول احتضاني.. ثم..

فتوقفت أبيغال عن الضحك وردت ساخرة:

ـ ثم ركضتِ هاربة منه.. كما أعتقد جداً.. لا بأس في هذا إذن ماي؟

ـ لا بأس؟

فابتسمت أبيغال ببرود:

ـ طبعاً لا بأس.. أعني أنك ستفعلين ما طلبه منك، أليس كذلك؟ عندها أصبح نظيفة اليد.

فحدقت بها مايسي وصرخت غير مصدقة:

ـ أبيغال!

ـ أوه.. الى الجحيم! لا تنظري إليّ. الأمر بسيط تماماً، إذا كان هذا ما يريده، مع أنني أظنه مجنوناً.. لكن لما لا؟ وماذا ستخسرين؟

أحست مايسي بالدموع تحرق عينيها:

ـ أبيغال.. أنت.. ألا يمكن أن تكوني جادة؟..

ـ أوه.. بل أعني ما أقول.. ومصيري مرتهن لما سوف تقررين. وليست هذه تضحية كبرى، بالنسبة لشقيقتك؟

ـ لكنني لا أستطيع التفكير.. كيف يمكنك قبول مثل هذه الأشياء.. أو الطلب مني التفكير بها.. إنه أكثر رجل مكروه..!

ـ لا.. ليس مكروهاً.. بل جذاباً جداً.

لا.. إنه ليس كذلك.. ثم إن ما يقدمه لا علاقة له بالجاذبية. إنه مقرف وغير معقول...

ـ صحيح؟

ـ طبعاً! إنه ابتزاز.. من أسوأ الأنواع.

ـ هل أنت واثقة أن الابتزاز هو ما يقلقك؟ فأنا أقول إن ما يقلقك شيء آخر.

ـ شيء آخر؟

ففحكت أبيغال ضحكة مريرة:

www.rewity.com

- أوه.. عيا ماي.. بإمكانك الاعتراف لي! فأنا أعرفك جيداً! انظري الى نفسك! أنت خائفة أليس كذلك؟ وليس بسبب الابتزاز.. بل من مجرد التفكير بعلاقة مع رجل. لأنك تخافين من الرجال.. ولطالما كنت هكذا يا ماي... والى مدى ما أستطيع أن أتذكر كنت هكذا.. كالثلج. ما من رجل استطاع الاقتراب منك... حتى عندما كنا صغاراً... أوه يا للجحيم... ما الفائدة؟ الكلام معك مستحيل.. هل أنت خائفة على عذريتك أم حمقاء.. الله وحده يعلم! أنت في الخامسة والعشرين، ولا زلت على الرف... ولو عرف ليو حقيقتك لما اهتم بك، ولن يحصل أي رجل على أي مرح معك؟

- اخرسي! كيف تجرؤين على هذا القول؟ ليس... حاً! فعدم مشاركتي لك حريتك وأخلاقك السيئة لا يعني أنني...

- أوه.. ماي.. أنا آسفة.. لكنك تعرفين كيف أعاني في بعض الأوقات... من الواضح أنني أنظر الى الأمر بشكل مختلف عنك. لكن الخيار بسيط... أيهما أغلى عندك... عفتك أم شقيقتك؟

- آبيغال.. لا! لا يمكن أن يكون الأمر هكذا.. ولن يكون... لا بد أن هناك طريق آخر. لا أستطيع آبيغال.. حتى من أجلك.

- ولكنني قد أفعل لأجلك.

ووقفت آبيغال لتكمل:

- حسناً.. لقد عرفت الآن موقفي. احتفظي لنفسك بطهارتك.. ولا حق لي بلومك.. لكنني سأستمر في لومك لما تبقى من عمري!

وركضت الى غرفة نومها لتصفق الباب وراءها.

واستمرت مايسي بالتحديق خلفها مذعورة، غير قادرة على الحركة.. متخطية الآن مرحلة البكاء، أنفاسها متسارعة متألمة. ثم أخذت تتدرع غرفة الجلوس ذهاباً وإياباً.

بعد قليل خرجت الى البهو الصغير.. ترددت قليلاً أمام باب غرفة شقيقتها.. من الداخل تناهى إليها صوت البكاء المختنق. وأحست بالألم يعتصر قلبها.. ما يحصل الآن يشبه ما حصل تلك السنة.. السنة الرهيبة حيث خلالها ماتت أمهما.. آبيغال بالكاد تذكر هذا الآن.. لكنها تستطيع تذكر وقع الأقدام على أرض غرفة نومها.. وصوت شقيقتها:

«أريد أمي.. ماي.. أين هي؟»

«أمنا ذهبت يا حبيبتي.. ألا يمكنك النوم؟ تعالي معي.. سأحتضنك»

«طوال الليل؟»

«إذا أردت»

«ألن تذهبي أنت أيضاً ماي؟»

«لا يا حبيبتي.. لن أتركك أبداً.. أعدك»

أسندت مايسي جبينها بضعف الى الجدار البارد تستمع الى النحيب الجاف المقطع الذي يتناهى إليها من خلف الباب. ثم، استفاقت فجأة وعادت الى غرفة الجلوس.. التقطت الهاتف، ترددت قليلاً، ثم أدارت رقماً، هناك فرصة واحدة أخيرة... الوحيدة الباقية لها.

بدا أن الهاتف يرن دون توقف... ثم أجاب شخص ما.. وتكلمت:

www.rewity.com

- مرحباً... أود التحدث الى سكرتيرة كورد باكلير أرجوك... أنا مايسي هاريس.

☆☆☆☆☆☆☆

٣ - أسوأ من الماضي

مع حلول الظلام، خرجت مايسي تواجه هواء الليل البارد.. والقمر لا يزال يرتفع ببطء.. وقد بدا أبيض كالعظام تتخلله بقع قاتمة بيضاء، من خلف المنتزه على كتف التل. سارعت خطواتها... وعند الزاوية ترددت إذ لم يكن هناك أي ضوء سوى المنبعث من مصابيح الشارع الطويل أمامها... وتناهى إليها صوت الموسيقى وقرقعة الكؤوس من مقهى قريب.. ونظرت الى البعيد، نحو البيوت البيضاء المرتفعة أمامها... كانت تتوقع أن تجد كورد مسافراً.. لكن سكرتيرته قالت إنه عاد فجأة وانه لا يستطيع رؤيتها سوى هذا المساء، ولكن في مكتبه بل في منزله.

توقفت مايسي عند الباب.. فالوقت لم يحن بعد. ولا زال بإمكانها تغيير رأيها.. لكنها أجبرت نفسها على فتح الباب..

أحست بمعنوياتها ترتفع قليلاً وهي تصعد السلم نحو الرواق المسقوف العريض، وضغطت على زر الجرس... لا بد أنها كانت غبية لحكمها المسبق على كورد لمجرد ذكريات الطفولة. فهو الآن رجل، ولا بد أنه تغير، بالتأكيد، وإذا استطاعت أن تشرح له.. فقد يساعدهما.

فتح الخادم الباب:

www.rewity.com

- آنسة هاريس؟

وأدخلها الى ردهة واسعة مضاءة.

- سيكون السيد باكلير معك بعد لحظات، انتظري هنا إذا سمحت.. هل آخذ عنك المعطف؟

قادها الى غرفة استقبال كبيرة، وانسحب بصمت.. ونظرت مايسي بقلق حولها.. لا بد أن كورد رجل غني جداً. سجاد صيني.. أثاث أثري.. أحد الجدران مليء برفوف الكتب من الأرض الى السقف.. ستائر قرمزية قاتمة بلون الدم تظلل النوافذ التي تطل على المنتزه.. وتحركت ببطء الى الداخل لتقف قرب النار المشتعلة في المدفأة.

- آنسة هاريس.

استدارت مجفلة... ثم جمدت. تحدق عبر الغرفة غير مصدقة، هذا الرجل الذي نطق باسمها، دخل الغرفة بصمت.. يقف على بعد خمسة أمتار منها تقريباً. يداه في جيبي بنطلون بذلة رسمية، وأحست بالدم يتصاعد الى وجهها... ثم قالت متلعثمة:

- لست أفهم.. لا بد أن هناك خطأ ما.

فقطع الرجل الغرفة دون أن يبتسم ليقف على بعد خطوة منها:

- ليس هناك أي خطأ.. لقد التقينا هذا الصباح، أم أنك نسيت بسرعة؟

- أعرف.. لكن.. لا بد أن هناك سوء فهم ما.

ابتسامته كانت متجهمة:

- ما من سوء فهم.. وربما يجب أن نتعارف.. فأنا كورد باكلير.

ترنحت مايسي.. ولم يحاول الامساك بها. لكنها وجدت

الطاولة خلفها فاستندت إليها للحظات، تحدق فيه.. بالطبع! كيف يمكن لها أن تكون غبية؟ لو لم تكن متوترة الأعصاب ومشغولة التفكير، لما ارتكبت هذه الحماقة. صحيح أن عيني ليو رماديتان أيضاً، إلا أنهما لم تحملا هذه البرودة قط. فمه كان دائماً ضعيفاً، وكأنه فم فتاة، وليس قاسياً لدرجة الوحشية مثل فم هذا الرجل. والصوت، كيف يمكن لها أن تنسى الصوت الخالي من المشاعر، الحاد، الجميل لكن خشن.. فهو صوت محام لامع على كل الأحوال... لقد نظر إليها هكذا مرة.. بنفس الطريقة...

الذكرى أعطتها الشجاعة. فاستوت في وقفتها وخطت الى الأمام، تقول بهدوء:

- سأذهب إذن.. لا فائدة من بقائي الآن.

- أتظنين هذا؟ أستطيع القول، من وجهة نظر شقيقتك. إن في بقائك أكثر من فائدة، ألا تظنين ذلك؟

تحرك بكسل، دون تردد، حتى أصبح يسد عليها طريقها.. فاضطرت لرفع بصرها إليه، فقال:

- ترغبين في تفسير دون شك؟ فالنساء عادة يطلبن هذا.

أكمل طريقه ليجلس الى كرسي قرب النار، دون أن تترك عيناه وجهها. كانت كلماته تؤلمها، فاستدارت إليه تدافع عن نفسها:

- ألا تظن أنك مدين لي بتفسير؟

فهز كتفيه:

- وربما.. وهكذا كلانا مدين.. أليس كذلك؟

ببطء، اختارت كرسياً قبالته، وجلست. كان المقعد مغطى بالمخمل الأحمر، وهي تجلس انفلتت تنورتها السوداء لتشكل هالة فوق اللون الأحمر.. فابتسم:

- هل اخترت هذا الزي خصيصاً؟

- لست أدري ما تعنيه.

- بل أظنك تدرين بالضبط ما أعني. إنه رؤين محتشم.. أسود اللون، كثياب الراهبة. هل ظننت أنني قد أتأثر به؟

- لم أفكر بشيء من هذا مطلقاً.

- لكنني واثق أنك فكرت، فكما يبدو لي، أنت فكرت بدقة بهذا اللقاء.

- لقد فكرت باللقاء.. ولكن ليس بمظهري.

- حقاً؟ هذا مختلف عن تفكير بنات جنسك! فهن لا يتصرفن هكذا عادة.

- لقد جئت الى هنا أطلب عونك.

- طلب عوني؟ هذا الصباح قلت عني إنني لا أساعد رجلاً يحتضر في الشارع. إنها صورة حية، ولو أن ألوانها مبالغ فيها لكنها مناسبة. هل تودين شرب شيء؟

- لا.. شكراً لك.

- كما تشائين.

ثم وقف قرب المدفأة، عمداً كي تضطر الى رفع نظرها إليه وابتلعت ريقها بصعوبة.. بما أنه لن يساعدها، وهذا واضح، فالأفضل أن تتكلم.. ومالت الى الأمام.

- لماذا لم تقل لي هذا الصباح.. من أنت؟

- لأنني لم أختر ذلك.

- كان بإمكاني أن أوفر وقتي، والكثير من سوء الفهم.

- ممكن.

- كان يجب أن أعرفك. لكن.. مضى زمن طويل لم نلتق

فيه، وأنت لا تشبه لي أبداً.

- لا.. لقد اخترت الذهاب إليه.. لكنك دائماً كنت مغرماً بليو يا مايسي.. ومذ كنت صغيرة.

- لقد ذهبتُ إليه، لأنني ظننت أنه سيأتي بموعده، لأبيعال ويساعدها.

- وعندما، كما ظننت، لم يفعل، جئت راكضة إليّ. ماذا كنت ستعرضين عليّ.. أن تخبريني قصصاً عن أخي؟

- إذا كان هذا ضرورياً.. لست أهتم بما أفعل.. فاهتمامي الوحيد هو مساعدة أبيغال.. ومسح كل أثر لما فعلت.

- بدءاً هذا غير صحيح.. فكما عرفنا هذا الصباح، أنت تهتمين بما تفعلين.. واهتمامك بأحداث له حدوده.. أليس كذلك؟

وأحست مايسي بالخوف يتصاعد في داخلها من جديد.. لن يعيد طلبه الآن.. بالتأكيد.

ضمت يديها معاً أمامها بتوتر، واجبرت نفسها أن لا تجفل، ولا تنسحب بنظرها.

- اجل.. هذا صحيح.. كما تحب أن تسميه.

فابتسم ورفع يده يمررها على خده حيث صفعته:

- كم أنت مترمتة! أتظنين أنني سأخدع بكل هذا؟ هذا التوسل.. تصرفك هذا الصباح؟ أوه، لا.. بالنسبة للتمثيل كان ممتازاً تماماً.. لكنه لم يقنعني!

فوقفت:

- هذا لا علاقة له بموضوعنا.. كورد.. أرجوك.

لاحظت أنه أجفل لذكرها اسمه مجرداً، وبدا على فمه دليل الاشمئزاز.. فتقدمت منه وكررت:

www.elwity.com

- أرجوك.. أعرف أنك تكرهنا. أعرف أنه لا شيء يدفعك لمساعدتنا.. لقد أخطأت أيفال..

فقاطعها:

- ما فعلته يسمى اختلاساً.. كما يشمل السرقة. قمت ببعض التحقيقات بعد خروجك.. أي بعد أن بُلغتُ بالقضية.

- أعرف هذا! وأعرف أنه يجب معاقبة أيفال.. لكن ألا ترى؟ لقد نالت عقابها.. لقد أعياها القلق فعرضت وهي تدرك فداحة ذنبها..

فضحك بازدراء:

- هذا لأنها تخشى افتضاح أمرها.. لا تكوني ساذجة مايسي.. لو لم أظهر أنا، فهل كنت تتصورين حدوث ذلك لها؟ أيفال كانت ستستمر بكل سعادة في اختلاس مال المرأة المسكينة قدر المستطاع.. هي ليست نادمة.. إنها خائفة.

- هذا غير صحيح! لقد فعلت ما فعلت بتهور وطيش وندمت عليه، حتى قبل أن تطلب الجردة بوقت طويل...

- طيش؟ تصرف شيكات تزيد قيمتها عن أربعة آلاف دولار في فترة ثلاثة أشهر، وفي فترات محسوبة بدقة؟ وتسمين هذا طيشاً؟

- لقد.. احتاجت المال!

- لماذا؟ هل كانت تتضور جوعاً؟ هل لديها طفل تريد إعالته؟ ألم تستطع دفع إيجار الطبيب؟ ألم تقدر على شراء الطعام؟ لا تتذرعي بهذا! لقد عرفت نساء في أوضاع مماثلة لما ذكرتها أرسلن الى السجن ثلاثة أشهر، وأنت تحاولين إخراج أيفال من المأزق دون عقاب؟ لماذا بحق الجحيم يجب أن تنجو بفعلتها؟ أتسمين هذا عدالة؟

فاخفضت رأسها:

- لا.. ليس عدالة!

- ماذا تسمينها إذن؟

- لست أدري.. العفو، الرحمة، سمها ما شئت..

- أتعلمين ماذا أسميها؟ أسميها الرشوة للنجاة. شقيقة لديها ما يكفي، رقيقة الإحساس، تظن نفسها قادرة على تخليص أختها أو مسح كل ما فعلته، أو جعل صحيفتها نظيفة.. إنه نظام خاص للأغنياء وآخر للفقراء. اللعنة على كل هذا.. إنه يسقمني!

نظرت إليه مايسي بهدوء، تحس بالدموع تقتحم عينيها. والقلق والخوف على أيفال يتصاعد في نفسها، وقالت:

- حسناً.. ما الذي تريد حصوله؟

- أريدها - كما غيرها - أن تواجه عاقبة عملها.

- أتدمر حياتها؟ إنها لم تتجاوز العشرين من عمرها.. أرجوك كيرد.. ألا ترى هذا؟ لقد أخطأت، لكنها تعرف خطأها الآن. وأن تكرر ما فعلت.. ولديها فرصة مع شخص يمكن أن يجعل حياتها سعيدة، لتعويضها عن كل الألم الماضي. ما حصل كان ذنبي جزئياً.. لو أنها مرت بطفولة عادية..

وبدت ضحكته ساخرة فصاحت به بحدة:

- لا تضحك! أنت تكلمني عن الحرمان، عن أشخاص يائسين ليس لديهم معنويات للحياة.. حسناً هناك أنواع أخرى للحرمان! أيفال لم تعرف أمها كثيراً، وبالكاد ترى أبيها، ولم تحظ بالحب وهي طفلة.. وإذا كانت حمقاء غير مسؤولة بعض الأحيان، فهناك أسباب.. ألا تفهم؟

- لا.. لست أفهم. فلا تقصي عليَّ قصصاً باكية، فهي لم

www.rewity.com

يفتقدها شيء!

- بل كان يفتقدها الحب!

لاحظت تغييراً في تعابير وجهه. وظنت أنها شاهدت شيئاً مختلفاً، نوعاً من العطف في عينيه الرماديتين الباردتين.. وسرعان ما تلاشى إحساسها حين تقدم منها بسرعة لاوياً فمه:

- كانت تريد الحب؟

مد يده وأمسك ذراعها بعنف ليشدها إليه ويقول:

- سأقول لك شيئاً مايسي.. أتعلمين بمن تذكرينني في هذه اللحظات؟ وبمن ذكرتني هذا الصباح، عندما انحنيت فوق الطاولة بنفس التعبير الآمل المتوسل الظاهر على وجهك الآن؟ لقد ذكرتني بأمك..

- بأمي؟ لكنني..

- أوه أعرف أنك لا تشبهينها.. لكنك مثلها، ألست هكذا مايسي؟ حيث لا يظهر ما في داخلك سوى في عينيك. يا إلهي.. كم أكره عينيك! لا أستطيع تحمل رؤيتهما.

ودفعها بعنف عنه، وأكمل..

- لقد رأيت هذه النظرة لدى أمك، عندما جاءت زاحفة الى أمي تختلق الأعذار والأكاذيب اللعنة! يا إلهي!

وغطى وجهه بيديه:

- لن أنسى تلك النظرة ما دمت حياً.. قالت لها «سامحيني.. سامحيني.. لقد تسببت بتحطيم زواجك.. وأنا آسفة جداً على ولديك وعلى زوجك وما فعله معك».

كان يقلد ساخراً صوت أمها.. ولهجتها الإيطالية الغريبة حتى أن مايسي تذكرتها.. وكأنها معهما في الغرفة.. تقدم منها ثانية

وأمسك بخصرها، يضغطه بين ذراعيه ليكمل:

- كانت تتوسل لغاية في نفسها، واستخدمت ذلك التوسل كما تستخدمينه أنت الآن.. يا إلهي.. لقد عرفنا عنها كل شيء.. طفولتها في الأزقة، عشاقها الكثيرين، ثم الرجل الذي أحبها وساعدها.. أبي، الذي ترك زوجته لأجلها تخلت عنه بعد ستة أشهر، بعد أن حققت الدمار في حياته..

- توقف! أنت تقلب الحقائق.. هذا غير صحيح..

- وماذا تعرفين أنت؟

- كنت لا أزال طفلة! وكانت أبيغال رضيعة! وليس لها علاقة بما حدث.. ليست مسؤولة عن أي شيء! كل ما ستفعله.. هو القاء انتقامك عليها.. وتكلمني عن الحق والعدالة.. هذه ليست عدالة.. إنها الكراهية!

ساد صمت رهيب في الغرفة.. وللحظات ظنت أنها أثرت عليه.. وأن كلماتها خرقت قوقعة ذكرياته.. لتلمس خزان غضبه. وبدا لها محيراً، لأول مرة، فامتدار عنها.. وقال باختصار وظهره لها:

- ربما.. ربما!

تردد قليلاً، ثم أمسكت بكم سترته، فلم يستدر، وقالت:

- كورد.. أرجوك!

بدا صوتها المصدوم غريباً على أذنيها حين تكلمت بضعوبة.

- أستطيع التحدث عن كل ما أذكره وكما أشعر به فقط.. فأنا لم أكرهك يوماً.. وأنا آسفة.. آسفة تماماً لما تشعر به لكنني أرجوك أن تنساه الآن وتساعدنا ولو مرة واحدة.

وتنهدت:

www.liilas.com

- إذا لم تساعدنا.. فلا مكان لي غيرك ألجأ إليه.. أرجوك.. لا أستطيع سوى الطلب.. التوسل...

فاستدار.. وقال ببرود:

- لقد طلبت هذا في الصباح.

- أطلبه مجدداً.

ودفع يدها عن ذراعه:

- وقلت لك عن الثمن!

- ماذا؟ لا يمكن أن تعني ما تقول! أنا.. لقد ظننت أن في الأمر مزاح.. أو نوع من.. اللعب..

- ليست لعبة.. وعليك أن تقرري من الذي سيدفع الثمن عن عائلتك أنت أم شقيقتك.. علّكم تسددون بعض الديون.

- وعدتك.. بإعادة المال.

- لست أتحدث عن المال... سمعها عدالة قاسية، سمها ما شئت! فأنا أعتقد أن هذا يوازن معادلة قديمة.. ألا تظنين هذا؟

- معادلة قديمة؟

وساد الصمت مجدداً، ليحدقا ببعضهما.. وأحست مايسي بشيء يرتفع ثم يتحرك في قلبها، شيء قديم جداً.. قوي جداً.. أخافها جداً، فقالت:

- لا أفهم ما تعني.

- بل تعرفين ما أعنيه بالضبط... أليس كذلك مايسي؟

حاولت التراجع عنه، لكن قبل أن تبتعد كانت ذراعاه قد التفتا حولها، ليحضنها دون جهد. لم يجبرها.. بل أمسكها بحيث لا تستطيع الحراك.. ثم بلطف مدهش رفع رأسها إليه كي ينظر الى عينيها الواسعتين الخائفتين. وسألها:

- أهناك رجل في حياتك مايسي؟ هل يشكل هذا خيانة لأحد؟

- لا..

- لاتكذبي!

- لا أكذب!

- حسناً.

انفرجت شفتاها لترد عليه لكنه أحنى رأسه ليدفن وجهه في شعرها. يداه دافئتان ناعمتان، أرسلتا رعشة عنيفة في كل جسدها... فلم تقاوم وأحست بيديها عالقتين بينها وبينه.. متوترتان.. ثم مسترخيتان.. وتنهد كورد، بطريقة لم تسمعها من قبل. وأحست بتوقه الغريب لها.. وأخذت مشاعرهما تتواصل وكأنها تيار كهربائي، تسللت قوته إلى داخلها دون مقاومة، تطالب بالتجاوب... وسمعت نفسها تتأوه، فشد عليها أكثر، يمرر يداه على ظهرها الى أن وصلت إحداهما الى شعرها الطويل الكثيف، ورفع وجهها إليه كما ترتفع الزهرة نحو النحلة لترتشف رحيقها.

كان عليها أن تقاوم.. أن تبعد رأسها عنه.. فلم تستطع. شيء ما استيقظ في داخلها شيء مدفون منذ زمن ظنت أنه انتهى... قوة عائلة قفزت في داخلها آتية من أعماقها، كالرسالة اندفعت الى دمها، قلبها، ثم الى ذراعيها.. وسمعته يقول وكأنه يبعد عنها عشر سنوات:

- مايسي.. أتذكرين؟

كانت تحس أكثر مما تسمع.. بشرة وجهه الخشنة على خدها الرقيق.. أحست بمشاعر وكأنها في مكان آخر.. ذات مرة.. في مكان ما.. وهو يتلمسها عادت الذكرى إليها والصورة، ومعها كاد أن يتوقف قلبها... ومعها توقفت سعادتها.. وتصلب جسدها...

www.eqraa.com

وطغى عليها العار والخجل.. وسمعت نفسها تطلق صرخة مخنوقة، وانقبضت يدها لتدفعه عنها بكل قوتها:

- لا! لا أذكر!

تحررت منه. فوقفا وكأنهما متصارعان، يتنفسان بقوة، وعيناهما مسمرتان وكأنهما منفصلان عن العالم.. عيناه كانتا متوسلتين، أما نايسي، فكانت ترتجف وكأن عينيها قد بردتا فجأة.

- لا.. لن أذكر!

- مايسي..

مد يده إليها فضربتها.. أحست بقلبها يصغر ويتشدد ويمتلىء نقمة.

- ابتعد عني، ولا تلمسني ثانية!

فتراجع، ورأت القساوة تعود الى وجهه.. وقال له:

- في المرة القادمة.. المرة القادمة التي تقف فيها في المحكمة.. يا إلهي كم أتمنى عندئذٍ أن تتذكر هذا. وأتمنى أن لا تنسى طالما أنت حي! لا حق لك أن تقف هناك... أتسمعني؟ لعا من أحد يمكن لك أن تقاضيه أكثر من نفسك. أيها المبتز، الكاذب، الكريه المستغل لضعف الآخرين.. أنت لا تطاق.. أنت تقرفني.. أتفهم هذا؟ أنت...

ورأت فمه يلتوي بنصف ابتسامة.

- صحيح؟ لو كنت مكانك لما قلت هذا. ثم ان خبرتي كبيرة بمثل هذه المسائل.

- هذا كذب!

- لا.. أنا لا أكذب.. ما كنت أريده أردته أنت أيضاً.. لِمَ فعلتِ ذلك؟ أين هي طهارتك المدعية؟

- اللعنة عليك كورد! اتركني!

لكن قبضته اشتدت أكثر، وفجأة تدفق الخوف مع الدم الى قلبها.. خوف قديم أعمى غير منطقي.. وفقدت كل السيطرة على نفسها.. وباندفاع حيواني، أحنت رأسها لتتمكن من عضه، فتذوقت طعم الدماء الساخنة على شفتيها ولسانها. وسمعته يصرخ من الألم. وتركها على الفور متراجعاً الى الوراء.. تملكها الخوف مما فعلت فتراجعت بدورها وسمعته يضحك:

- أيتها الثعلبة الصغيرة! ماذا ستفعلين بعد هذا؟ أتضربين عيني بمخالبك؟

التفتت لتركض بكل حماقة دون أن ترى، لتصطدم بالطاولة خلفها.. بصرخة مذعورة حاولت التوقف، لكن الوقت كان قد فات... وانقلبت الطاولة.. الزهرية الخزفية العتيقة القديمة، المكحلة الزمردية الأثرية، إرتطمت على الأرض وتحطمت.. بعد التحطيم، ساد صمت رهيب بدا وكأن له رنين في أذنيها. وحدقت الى الأرض بتبلد ذهني، الى الشظايا الذهبية القرمزية البيضاء والزمردية.. السحوق الجاف للكحل الأسود تناثر كذلك والزهور البيضاء التي كانت في الزهرية تحطمت. وصاحت:

- لا! لا!

انحنت محاولة فعل شيء.. لكنه منعها.

- اتركيها.. لا يهم.. كل شيء معرض للتحطيم.

- أنا آسفة...

ماتت الكلمات على شفتيها ليقينها أنه من السخافة الاعتذار الآن. واستدار عنها برزانة ليضغط على زر جرس قرب المدفأة.

- سينظف الخادم كل شيء... وسيحضر لك معطفك.

www.rewity.com

- كورد...

فاستدار عنها، ثم فتح الباب فقال:

- الآنسة هاريس ترد الذهاب.

- حاضر سيدي.

- أوه.. مايسي.. أرجوك.. اسمعي طلبي.. أريد قراراً محدداً نهائياً.. هل نتفق بعد ثلاثة أيام؟ عندها سأعرف ما سأفعل.. في كلتا الحالتين.

وابتسم لها ابتسامة مثلجة.

ولم ترد، بل خرجت بسرعة الى الردهة، وساعدها الخادم على ارتداء معطفها بشكل رسمي. ولم يبدُ عليه أنه لاحظ ارتجافها.

- عمتِ مساء آنسة هاريس.

- عمت مساء.

وأقفل الباب.

وهي تسير نحو منزلها.. توقفت والهواء البارد يلفح وجهها وقالت لنفسها كلمات صامتة: «لقد أحبته يوماً.. أحببته كثيراً».

مواجهة نفسها بما تعرفه وتكتمه لسنوات أراحها.. ثم وبكل تعمد تركت الفكرة تتلاشى من جديد وكأنها قطعة النقود تغرق في ماء عميق أسود. لمعت ثانية، ثم اختفت.

يجب أن تدفع المال، بغض النظر عما سيحدث، وإذا حصلت أية فضيحة ستتحملها الى النهاية، ثم بما بقي معها من مال ستأخذ أيفال الى بلاد بعيدة لا يعرفانها ولا يعرفهما فيها أحد، حيث ستتمكنان سوية من النسيان.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

٤ - هل تذكرين؟

ما أن وصلت مايسي الى شقتها حتى شاهدت سيارة ديكي تختفي عند زاوية الشارع. رفعت نظرها الى أعلى البيت القديم، فرأت ضوءاً منبعثاً عبر النوافذ.

تسلقت السلم متعبة، ودخلت الشقة. كانت أيفال تجلس منحنية أمام النار، ملتفة ببطانية. وعلى الطاولة بقايا طعام، وزجاجة شراب، وأطباق وسخة. وقفت مترددة عند الباب.. رفعت أيفال نظرها إليها.. نظرة غريبة هي مزيج من الدهشة والخوف والفضول وقالت بدون لباقة:

- أترغبين بشيء تأكلينه؟

- لا.. شكراً لك.. لست جائعة. هل أنت أفضل حالاً؟

- تقريباً.. لكنك تبدين رهيبة المنظر. أين كنتِ طوال هذا الوقت؟

قبل أن تجيب مايسي، وقفت أيفال لتقول:

- هل بقي شيء يؤكل؟ أرغب في بعض السلمون المدخن.. أكاد أموت جوعاً!

- اجلسي وسأعطيك ما تريدين.

حملت مايسي الأطباق المتسخة بسرعة الى المطبخ، وأحضرت

www.elsayity.com

أخرى نظيفة، وصبت لابيغال ما تبقى في زجاجة العصير.. كانت الجمل تتلاطم في ذهنها طوال الوقت بما ستقوله لها وكيف؟ لكن عقلها تجمد جبناً وتردداً. فأعطت الكوب لأبيغال وجلست قبالتها بهدوء... ستلجأ الى حيلة طفولية فتعد الى العشرة ثم تتكلم... لكن أبيغال ابتسمت لها ابتسامة غريبة:

- ستضطرين للشرب من هذا الكأس.. لا يمكن للمرء أن يشرب نخباً لنفسه.. صحيح؟ فهذا لا يجلب الحظ؟

- نخب؟

- أصبحت مخطوبة.. وسأتزوج.

- تتزوجين؟

فضحكت أبيغال:

- كان عليك إظهار سعادة أكبر! خذي.. اشربي نخب العروسين السعيدين.

وراقبتها أبيغال وهي تشرب العصير ثم تضع الكوب من يدها، لتلتفت وتسألها:

- هل.. أخبرت ديكي بالأمر؟

- لا.. لكنه لم يتردد في طلب يدي.. ولن يتأخر زواجنا كثيراً. فهذه الليلة سيخبر تلك العجوز المشاكسة، وستكون ضربة فوق عينيها. ألا تظنين هذا؟

- لكن أبيغال..

- لقد كان ناعماً معي.. لطيفاً.. وسعيداً. ولكن كيف؟ لا أستطيع إخبارك يا ماي.. آسفة.. أنني كنت دائماً واثقة من حدوث ذلك، أتعلمين.. عندما تلتقي الواحدة منا بالرجل المناسب، تحس به هنا..

وأشارت الى قلبها وأكملت:

- والليلة.. آه.. كم أحبه يا ماي! سأكون زوجة طيبة له.

- أبيغال.. لماذا لم تخبريه؟

- ماذا أخبره؟

- حول المال.. حول..

فابتسعت عينا أبيغال والتفتت إليها مقاطعة:

- آوه.. لا أستطيع إخباره الآن.

- يجب أن تخبريه.. إذا كنتما ستتزوجان، لا يمكن بدء حياتكما بالكذب.

- هذا ليس كذباً. وسأخبره.. فيما بعد. فنحن نخطط الآن وهو سعيد..

ثم صمتت وأمسكت بيد أختها متوترة واحمر وجهها السعيد.. وأكملت:

- ألا ترين ماي؟ كل شيء أصبح مختلفاً فلا تتخلي عني الآن حتى تسير أموري على ما يرام بعد أن ينتهي كل شيء.

عضت مايسي على شفتها وأحست بالدموع تبلل عينيها. وأحست ببرود شديد يتملك قلبها.. لفت ذراعيها بلطف حول أبيغال وقبلتها. فتنهدت الأخيرة، وعادت تجلس في مقعدها. وتبادلتا نظرات التفاهم الكامل.. فطمأنتها مايسي بصوت منخفض:

- لا داعي للقلق. أعدك.

- شكراً ماي.. وشكراً لتركنا وحدنا الليلة.. أنت ذكية جداً.. هل ذهبت الى مكان مميز..!

هزت مايسي رأسها، وبدأت تشغل نفسها بترتيب الغرفة.

www.rewity.com

- لا.. ليس مكاناً مميزاً.. ذهبت لأرى مايك في المعرض. هذا كل شيء.

- اذن، سيكون كل شيء على ما يرام حقاً؟

- أعدك.

فابتسمت أبيغال وأرسلت لشقيقتها قبلة في الهواء:

- أنت ملاك!

اليوم التالي كان يوم سبت.. استيقظت مايسي باكراً وقدمت لأبيغال الشاي وهي في السرير، وقالت:

- هيا.. استيقظي وتنشطي!

رفعت الستائر لتدخل أشعة الشمس الى الغرفة، فأغمضت أبيغال عينيها، فهي لم تنم أكثر من ساعتين.. ثم فتحتهما من جديد وأجبرت نفسها على أن تبدو مرحة. وأخذت الفنجان.

- هذا تشريف غير عادي. أظن أني سأتعود على الصحو باكراً. لقد استيقظتُ عند السادسة والنصف. أليس هذا أمراً رائعاً؟

- هل أنت بخير؟

- أوه.. أنا بخير تماماً. ولا مانع لدي للعرض.. والراحة.. قال الطبيب إن راحة أسبوع تكفي، على الأكثر، وسأكون بخير.

ارتشفت قليلاً من الشاي، وراقبتها مايسي عن كثب.. ثم قالت أبيغال:

- ماي.. أكنت جادة ليلة أمس؟ هل حقاً سيكون كل شيء على ما يرام؟ أتظنين أن بإمكانك...

- أجل.. سيكون كل شيء على ما يرام. أمامي ثلاثة أيام، في نهايتها سأتدبر الأمور أبي.. أعدك..

- أتعنين أنك حقاً سوف..

- لا تسأليني.. أقسم لك أن كل شيء سيكون على ما يرام. لكنني لن أتحمل.. الكلام عن الأمر الآن. أتفهمين؟

أخفضت أبيغال رأسها متنهدة. فأكملت مايسي:

- أبي.. من الأفضل أن تبتعدي عن الموضوع.. لا تكلمي ليو عنه، أو أي شخص آخر. اتركي الأمر. يجب أن تتركي العمل.. وبإمكانهم تدبير سكرتيرة أخرى.. عديني بذلك؟

- ليس الأمر صعباً! إذ التفكير بالاقتراب من هناك يجعلني سقيمة... هل أستقيل؟

- أجل.. كلما كان أسرع، كان أفضل.

فوقفت أبيغال واتجهت الى الباب حيث توقفت:

- ماي.. تعرفين كم أحبك.. وأنا آسفة على ما قلته لك..

- لم يعد الأمر يهم.. وربما أنت محقة بطريقة ما.

- قد ينقلب الأمر الى الأفضل مايسي..

- ربما هو خير ما ينتهي بخير.. والآن اذهبي.. ولن نتكلم في الموضوع.

بعد خروج أبيغال، اغتسلت مايسي وارتدت ملابسها.. أحست بأنها أفضل حالاً من ليلة الأمس، على الأقل هادئة.. لأنها عرفت أن لا طريق آخر للخلاص، ولا وقت للتردد، ولا مجال للتسوية. يجب أن تقوي نفسها وتمحو كل الألم والخوف.. فالمهم أبيغال وسعادتها.

لو أن الماضي يختفي. لو أنها تستطيع أن تنسى.. حتى تواجه الأمر ببرود.. لكن مجرد التفكير به جعل نبضات قلبها تتسارع.. وأطبقت الذكرى على جسدها وكأنها الحمى.. ليلة أمس، لم تكن تحس بالبرود، أو عدم التأثر أو التحفظ.. هل هذا هو سبب

www.liilas.com

إذعانها للأمر الآن.. سبب وعدها لآيغال بسرعة، أهذا ما تريد أن يحدث، في سرها؟ لا.. أغلقت باب أفكارها لتبعد الفكرة. الأمر ليس هكذا! ستخرج لتتمشى.. ستفعل أي شيء.. فأسوأ شيء لها هو الجلوس والاستسلام للتفكير.

بينما كانت تقرر.. رن جرس الباب.. ففزعت مجفلة.. وصارعت لترد. في الباب امرأة غريبة حدقت بها مايسي بدهشة. كانت قصيرة، عريضة، مسترجلة قليلاً.. عريضة الوجه لها عينان حادتان حذرتان ذكيتان، وزرقاوان.

- لا بد أنك مايسي.

- أجل.. أنا مايسي..

- أنا والدة ديكي.

وتقدمت المرأة الى الأمام.. فاستجمعت مايسي شتات نفسها وقالت:

- أوه لايدي تنت... تفضلي بالدخول.

- شكراً لك يا عزيزتي. آيغال ليست هنا كما أعتقد؟ هذا ما ظننته.. فأنا لم أتصل، وهذه فظاظة مني، لكني أريد التحدث معك. عزيزتي، أتجلس هنا؟ جيد!

دخلت فوراً الى غرفة الجلوس ونظرت حولها بإعجاب فعيناها لا تفوتهما شيء. ثم استدارت الى مايسي مبتسمة:

- كم هذا رائع.. كما عرفت أنك أنت الشقيقة المتعقلة. وأنت بكل تأكيد لا تبدين مثل آيغال..

- هل أقدم لك بعض القهوة.. أو الشراب؟

- لا شكراً لك عزيزتي. لن أمكث طويلاً.

وسوت جلستها في منتصف الصوفا، فجلست مايسي قبالتها

وعينا المرأة لا تغادران وجهها. وعادت الى الابتسام:

- حسناً يا عزيزتي.. أمامنا مأزق.. فماذا ستفعلين؟

احمر وجه مايسي وهي ترد:

- انظري لايدي تنت.. أعرف أن هذا كان صدمة لك..

- صدمة؟ بالتأكيد صدمة! أوه.. نعلم أن ديكي مجنون بحب آيغال.. ولم أكن ووالده مضطربين حول الأمر.. إذ نعرف أن لا فائدة من الجدال معه.. وها قد حصل ما كنا نخشاه.

- أظنهما سعيدين. لايدي تنت.. وأنا واثقة من هذا..

- صحيح.. ولا تدعينا نتجادل بالتفاهات.. كنت آمل أن يتعقل ديكي مع الوقت.. لكن من الواضح أنهما اتفقا على الزواج. لكني لا أوافق على كل هذه الأمور العصرية.. في أيامي كان هذا مستحيلاً.. لكنه سهل هذه الأيام. وعلى الناس مواجهة نتائج أفعالهم.

أحست مايسي بالسقام.. إنها نفس كلمات كورد ليلة أمس.. وأكملت اللايدي:

- انه لا يزال صغيراً جداً. فأنا لم أتزوج قبل الثلاثين.. وكنت آمل أن يكون عاقلاً. والمرأة لا يمكنها أن تعيش حياة أولادها عنهم.. ولكني أردت معرفة رأيك بالموضوع.. هل سيكون الزواج كارثة؟

كانت تطرق الموضوع مباشرة، وبصراحة.. ولم تتمالك مايسي نفسها فابتسمت:

- أعتقد أن آيغال صغيرة جداً.. أما ديكي فلست أدري.. لقد كان لطيفاً معها.

- أتعنين أنها ستكبر؟.. حسناً.. ربما يحدث هذا.

www.rewity.com

وأمعنت النظر الى مايسي:

- إنها تحبه.. أليس كذلك؟

- كثيراً.

- هذا أمر سطحي فما كان هنا اليوم يتلاشى غداً.

- لايدي تنتث.. أعلم تماماً ما تقصديه.. لا بد أن آيفال تبدو متهورة.. صغيرة.. وربما متقلبة. لكنها ليست كذلك.. في العمق هي شخص قوي المشاعر، قوي الارادة.. وتحب ابنك. وتريد من كل كيانها أن تكون زوجة طيبة له.. قالت لي هذا بنفسها ليلة أمس.

- أفهم هذا.. نحن لا نعرف عائلتكما. طبعاً.. أمك ميتة، كما أعتقد؟

- ماتت منذ عشر سنوات.. ووالدنا حي.. إنه يعيش خارج البلاد معظم الوقت.. إنه كاتب.

كتمت مايسي ابتسامة تسلية.. لو أنها تقول للايدي تنتث عن سياسة أبيها، عن إيمانه الماركسي، عن عضويته للحزب الشيوعي.. فماذا ستقول؟

- كاتب؟ وهل سمعت عنه؟

- لا أظن.. فهو ليس كاتباً مشهوراً. وهل تظنين أن عائلتنا غير مناسبة لكم لايدي تنتث؟

- أريد أن يكون ابني سعيداً.. ولا أريد أن نتجرجر كلنا الى المحاكم مستقبلاً لأجل الطلاق.

- لايدي تنتث أوجوك.. آيفال وأنا تربينا في عائلة تفتقر الى الأمن العاطفي.. فزواج والدينا كان كارثة.. بالكاد.. عاشا معاً.. مع ذلك لم يتطلقا. ألا ترين أن كل هذا يجعلني وآيفال

نشعر بأهمية الزواج، والحب، والالتزام؟

بدت الشكوك على اللايدي وأجابت بصراحة:

- هذا ما يبدو عليك عزيزتي. ولا أشك مطلقاً بصحة ما تقولينه أما بالنسبة لآيفال؟ حسناً.. الوقت وحده كفيل بكشف هذا. أحس الآن بأنني أفضل حالاً.. بعد أن قابلتك.

ووقفت، مستديرة نحو الباب ترتدي قفازاتها ثم توقفت:

- آترين عزيزتي.. لست قديمة الطراز، إنما الزواج هو أهم خطوة تتخذها المرأة في حياتها.. كل شيء يتوقف على قرارها الصحيح.. الأولاد.. حياة الآخرين.. سعادتها.. مستقبلها، مستقبل زوجها.. كل شيء.. المسألة الكبرى هي في كيف تقررين؟ كيف تحكمين؟ كيف تعرفين؟ وكل ما آمله أن تكون آيفال قادرة على اتخاذ القرار وأنها لن تتغير مستقبلاً.. هذا هو حقاً ما جئت أسأل عنه.

أحست مايسي بكل شكوك العالم تتخبط في ذهنها، فأخفضت عينيها... وقالت بصوت منخفض:

- أظنها ستفعل.. ويمكن أن أحدثها إذا ظننت أن هذا مفيداً.. لكنني لا أظن أن هناك شيئاً لم أقله لها بعد.

- هذا ما أتمناه.. وسأشعر بالسعادة أكثر لو فعلت يا عزيزتي.. ألا تفكرين أنت بالزواج؟

- لا.. أبداً.. لماذا تسألين؟

فابتسمت اللايدي!

- لا شيء عزيزتي.. مجرد سؤال عرضي.. أرجوك.. لا ترافقيني الى الخارج وشكراً لحديثك معي.. ألا تأتين لتناول العشاء معنا في إحدى الليالي، عندما تكونين حرة؟ مع آيفال

www.liilas-society.com

طبعاً.

- سأحب هذا جداً. شكراً لك.

- جيد.. والآن يجب أن نبدأ بالتحضير لهذا الزواج.. فهناك الكثير.. وأظن أنهما مستعجلان.. ها؟

لوحت بيدها مسرعة.. وخرجت. وراقبتها مايسي من النافذة وهي تبتعد.. ثم جلست تستمع الى بعض الموسيقى والتقطت الهاتف لتتصل برقم.. وود كورد عليها.. عرفت صوته مباشرة:

- أنا مايسي هاريس.. أتصل بك لأقول إنني موافقة على طلبك.

وساد صمت قصير.. قال بعده:

- هكذا إذن.

- متى تريدني أن...

وترددت.. أحست بالدم يتصاعد الى وجهها، ولو أنها كانت وحدها ولا أحد يراها. ولم تستطع التفكير بكلمات مناسبة.. وتوقعت منه أن يضحك. لكنه قال:

- أظن الليلة.. ما رأيك؟ تعالي إلي.. الليلة فرصة الخادم، ولكني أستطيع تقديم العشاء لك.

- لست بحاجة للعشاء.

- تعالي في الثامنة.

وأقفل الخط.

استحمت.. ثم غيرت ملابسها، لكنها لم تستطع جعل نفسها تحس بالنظافة... ارتدت الثوب الأسود نفسه كي يرى أنها لم تجهد نفسها كي تبدو مغرية.. ربما تأمل في أن يقنعه هذا بتغيير رأيه.

فتح الباب لها، الى منزل صامت يتلألأ بالأنوار.. وأخذ عنها معطفها... ورأت أنه لاحظ ما ترتديه. فرفع حاجبه ساخراً بابتسامة:

- نفس الزي؟

فردت بحدة:

- ونفس اللعبة.

- تبدين جميلة.

- أرجوك.. لست بحاجة الى الإطراء. لست بحاجة لأن تغازلني.

- ماذا لو رغبت في هذا؟

- لا ترضخ نفسك؟

- كما تشائين

وبطريقة «سمية» قاد الطريق الى غرفة الاستقبال حيث كانا الليلة السابقة.. حتى الطاولة التي انقلبت كان عليها إناء جديد وورود حمراء.

أتعبت نفسك؟

- لا أحب الزهور المستنبتة في الداخل.

- لا.. هذا ما أتصوره.. دعيني أقدم لك شراباً.

لم يسألها عما تريد، مع أنه لاحظ الرفض الذي تصاعد الى فمها لكنه صب شراب الكرز الأحمر في كوبين طويلين، أعطاها أحدهما. فتجاهلته:

- هذا أمر سخيف.. أنت تحول هذا الى احتفال لا معنى له!

- سمها طقوس... فأنا أحب الطقوس.

ودفع الكأس الى يدها:

www.liilas.com

- ماذا كنت تتوقعين أن أفعل؟ أن أقبض على شعرك لحظة دخولك لآخذك على سجادة الردهة؟ أم أجرك الى غرفتي في الحال؟ ربما تفضلين هذا؟

- لا أتوقع شيئاً.. وأفضل جداً أن لا تناقش.

- فهمت.. لكني أظن أننا سنفعل هذا حسب طريقتي.. سنتناول العشاء معاً، بطريقة متمدنة. وتتحدث عن الأيام الخوالي.. وسيكون هذا جميلاً.. ألا تظنين هذا؟ ثم..

فقاطعته وعيناها تلمعان غضباً:

- ثم تدعي أن هذا كله أمر طبيعي، كما أعتقد؟ إنه إغواء روتيني آخر.. انني جئت الى هنا بمحض إرادتي.. و.. لا أحد يدري..

- جئت بمحض إرادتك. هذه أشياء يمكن أن تحدث.

- لا أظن!

- ألا يمكنك الجلوس الآن؟ تبدين درامية في فستانك الأسود، تمسكين بالكأس وكأنك تفكرين بتحطيمه على رأسي.. لقد جرحتني من قبل.. مرتين.. والأفضل أن لا تفعلي هذا ثانية.

- لم يكن جرحاً عميقاً في كلا المرتين!

- لا؟!

وفهمت ما يعنيه، فاتسعت عيناها.. فجأة أحست بخوف رهيب.. ولا بد أنه لاحظ خوفها، فقال بلطف:

- لا تقلقي.. لن أؤذيك... فلست سادياً يا مايسي.

- كورد.. أنا...

قطع الغرفة نحوها بسرعة، وبرقة مدهشة لف ذراعه حولها، ورفع رأسها نحوه.. نظر الى عينيها، وكأنه يبحث عن شيء

فيهما، وعلمت أنه يحس بارتجافها.. فقال:

- أنت خائفة.. مايسي.. لا أريدك أن تكوني خائفة.. اسمعي..

أرادت أن تقاومه.. لكنها لم تستطع. أخذ يهدهدها بين ذراعيه مطمئناً كالطفلة. وأكمل:

- إذا كان هذا يساعدك.. أود أن تعرفي أنني اهتممت بكل شيء. دفعت المال.. وأعطيت تعليمات للمحاسبين أن لا يذكروا التباين في الحسابات. ولن يكون للأمر مضاعفات.. لكن على أبيغال أن تترك العمل.. عدا ذلك لا شروط عملية ولا قانونية.

رفعت رأسها مذهولة:

- أصحيح هذا؟

- بالرغم مما تظنينه بي.. فأنا لست كاذباً.

- لكني لم أعطك المال بعد.

- ستتحدث في هذا لاحقاً.

تراجعت الى الخلف تخلص نفسها من بين ذراعيه.. ومعاني ما قاله لها تتغلغل عقلها ببطء. وكأنما مشاعرها قد تليدت بافترابه منها. وقالت بصوت أعلى قليلاً من الهمس:

- ومتى فعلت هذا؟

- هذا الصباح.

- ولكن.. لماذا أنا هنا؟

- وحدك من يستطيع الإجابة على هذا السؤال.

- لكن، ما كنت جئت لو...

- نابعي!

- لقد جئت فقط لأن كل شيء تغير... هذا ما عرفته

www.rewity.com

بالأمس... أبيغال ستتزوج.. ولهذا جئت!

فهز كتفيه صامتاً، وعادت عيناه الى البرود:

- لست أنه للأسباب التي جعلتك تأتين.. فأنت هنا.. وبالنسبة لي.. هذا هو المهم.

- أتعني أن هذا كافياً. أي أن باستطاعتي الذهاب الآن.. دون..

- لم أقل هذا.

- ليس لك ممسك علي الآن.

- أوه.. بلى لي ممسك عليك. لقد عقدنا اتفاقاً. فهل ستحاولين النكوث به؟ كم هذا أمر مثالي من عائلتك!

- لا أقصد، فلماذا لا تكون صريحاً كورد؟ كل هذا محاولة منك لجعل الأمر الكريه، مقبولاً قليلاً. أليس كذلك؟ ماذا تتوقع؟ أن أرمي نفسي بين ذراعيك عرفاناً بالجميل؟

- قد يكون أمراً مهماً لو فعلت.

فتصاعد غضبها:

- هذه خدعة رخيصة منك! طريقة لإقناعي بفعل أمر ما...

- ربما.

- أكرهك.. كورد!

- مايسي هل تكرهينني حقاً؟ حسناً.. وربما سأتمكن من تغيير رأيك.. والآن.. هل لنا أن نتوقف عن هذا الصراع؟ أظن أن علينا الدخول لتناول العشاء... أتفعل؟

قبل أن ترد.. دفعها أمامه ممسكاً بذراعها بقوة لم تستطع معها المقاومة. وقطعا غرفة الطعام ثم وصلا الى حيث سيتناولان العشاء معاً.. في المطبخ.. كان المطبخ غرفة جميلة.. أرضيتها حجرية

وخزائن ورفوف خشبية. فيها طباخ من طراز قديم وعلى الطاولة أطباق بيضاء وزرقاء.. أجبرها تقريباً على الجلوس على إحدى الكراسي وقال:

- أليس هذا رائعاً؟ رأيت أنه الأفضل أن نتناول العشاء هنا.. كشخصين متزوجين:

- هل حضّر خادمك كل هذا؟ يبدو طباخاً ماهراً.

- إنه يهتم بكل حاجاتي المنزلية.

- كم أنت محظوظ!

فابتسم:

- أنا أعمل جاهداً.

فردت الابتسام:

- أعلم.. لقد قرأت عن محاكماتك الشهيرة.

أكملا الطعام بصمت، لم يكن لمايسي شهية للأكل... لكنها أحست بالراحة، وعاودتها شجاعتها.. قطع الصمت متسائلاً:

- إذن أبيغال ستتزوج. أليست صغيرة بعد؟

- إنها في العشرين.. مغرمة.

- ومن ستتزوج؟

- اسمه ديكي ثنت... وربما تعرفه.. أو تعرف أباه... كان قاضياً كما أعتقد.

فابتسم:

- لحسن الحظ لم التقِ به.. فهو من الأفراد الأكبر سناً في القضاء. لكنني أذكر ديكي.. أنه أصغر مني طبعاً، لكننا كنا في نفس المدرسة.. وله أم رائعة، كما أذكر.

- لايدي ثنت؟ إنها لطيفة جداً.

www.rewity.com

- تقريباً.

- ووالدك.. هل يعرف بأمر الزواج.. وكل شيء؟

- لا.. لم يعرف بعد. فنحن لم نره منذ سنوات.

- ألا يزال يكرس نفسه لتحرير الجماهير؟

- لا يزال يكتب كما أعتقد.

- كم هو مخلص..

وقف ليغير طبقها المتسخ. ثم أكمل:

- حقاً مايسي.. لو لم يكن الأمر منافياً للعقل لقلنا إن أفراد عائلتك مؤثرون جداً.

- لا أرغب في بحث أمر عائلتي معك!

- لم تتغيري كثيراً.. أليس كذلك؟

وضع لها طبق طعام آخر، فرفعت نظرها إليه.. فأكمل:

- أذكر يوم مولدك. كنت في السابعة يومها، وعائد من المدرسة. كانت عائلتينا لا زالتا متصادقتان. كان هذا طبعاً قبل...

وتردد.. ثم قال:

- لقد راقبتك تكبرين مايسي.

- لا أذكر..

- لكنني أذكر.. ذهبنا يوماً لزيارتكم، أبي وأنا.. لكنك كنت مقيمة عند عمة لك..

- عمتي كارلا.. لقد ماتت.

- هذا صحيح.. أمك كانت حية يومها. أذكر أنك كنت تجلسين في الزاوية دون أن تقولي شيئاً. كنت في الثانية عشرة كما أظن.

- لا أذكر.

لكنها كانت تذكر في كل مرة تقابله.. كان صبياً طويلاً متكبراً، يراقب الجميع بازدراء. وسمعت يضحك.

- لقد أمضينا الصيف معاً مرة. نحن الأربعة.. أتذكرين هذا؟ العام الذي سبق موت أمك. في فنكوفر.

وضعت مايسي السكين والشوكة من يدها، فقد أحست بشحوبها.

- لا أريد التحدث عن كل هذا.

- أيثير فيك هذا الحديث الكثير من الذكريات؟ حسناً كما تشائين.

وقفت بسرعة حتى كادت توقع الكرسي من خلفها.

- أرجو أن توقف هذا الحديث.. إنه لا يحتمل!

- ربما كان يجب أن أتركك تعتقدين أنني ليو.. أيمكن لك أن تتحمليه أكثر.. مايسي؟

فصاحت:

- لا.. لن أتحمله.. فأنا..

- هلا صعدنا الى فوق؟

تحرك نحوها فعلمت أنه سيلامسها من جديد.. وسيحتضنها. فسارعت الى الابتعاد عنه. واستدارت نحو الباب، فتراجع ليفتحه لها... ودون أن تنظر إليه، أكملت طريقها نحو الردهة.. لكن شجاعتها هناك تخلت عنها. فاستدارت الى غرفة الاستقبال، وقال بصوت بارد ساخر:

- هنا؟

تحرك فوراً نحو دفء النار.. فدخل الغرفة وراءها ووقف

www.rewity.com

يراقبها.. كانت ترتجف.. وما كانت تفكر به الآن هو أن تفعل المطلوب وتنتهي.. وأن تخرج من هذا المنزل.. تبتعد عن كلامه وذكرياته، بعيداً عنه وعن عينيه المتفحصتين... بعد جهد لتثبيت ارتجاف يديها، رفعتهما الى باقة الفستان.. لتفتش عن قبضة السحاب الذي يقفل ظهره.. ولم يتحرك لمساعدتها. ولم يقل شيئاً، فالقبضة عالقة بشعرها.. وهي تشعر بوجهها يحترق والدموع تتدفق من عينيها، كافحت لتحررها من شعرها. ثم أحست به يتقدم منها بسرعة:

ـ اسمحي لي.

أحست بقبضة السحاب تتحرك، وهو يكشف الفستان عنها بحركة واحدة. للحظات جمدت.. تمسك بباقة الفستان حول عنقها.. فتراجع ويداه مكتفتان.. يراقبها.. وكأنه ينظر الى تمثال حجري في معرض. فاجأتها برودته وملأتها غضباً. هو الذي يجب أن يخجل من لامبالاته وستجعله يشعر بهذا الخجل.

وسمعته يتنفس بحدة حين تركت باقة فستانها، فانزلق بأكمامه الواسعة عن جسدها حتى الخصر.

☆ ☆ ☆ ☆

٥ ـ أتقبل بهذه المرأة؟

للحظات، لم يتحرك أي منهما.. فثار غضبها وازداد خفقان قلبها وارتعشت يداها وبدا لها صمت الغرفة صراخ.. والتفتت عيناهما، فلم تعبر ما رأته في عينيه.. ربما الرغبة المشوبة بالألم.. وربما الغضب. وطال الصمت.. ونفذت قدرتها على الاحتمال.. فخرج منها سؤال وكأنه الرصاصة:

ـ حسناً؟

فخطا نحوها، دون أن يلمسها وانحنى رأسه ليقبل رأسها.. فجمدت.. دون حراك.. ثم تراجع.. رفع يده.. ثم تركها تهبط ثانية، وقال بخشونة:

ـ البسي ثيابك.

فحدقت به مشدوهة.. فصاح:

ـ اللعنة! قلت البسي!

التقت عيناهما بنظرة كره وحقد.. وتمنت لو تغطي وجهها كي لا تراه وأحست أن ثمة شعور آخر يتحرك في داخلها.. يشبه خيبة الأمل.. فأحست بالدم يتصاعد من عنقها الى وجهها. جمعت أطراف الفستان ببطء وقالت بصوت على شفير الانهيار:

ـ هل أذهب؟

www.ibtesama.com

تقدم نحوها ليساعدها على إدخال ذراعيها في الأكمام، ثم أقفل لها السحاب، دون أن يلمسها. وأجابها:

- لا.. اجلسي.. أريد التحدث إليك.

- لا أظن أن هناك ما يقال.

- حسناً هناك شيء.

فجأة بدا لها تعباً.. مرهقاً.. وقد تلاشت حيويته. فجلست بكل هدوء.. وجلس بدوره.. وبقيا صامتين لبضع دقائق. فأحست بشيء كالشفقة يتحرك داخلها له.. إنه رجل الآن.. لكن عندما كان صبياً كانت تبدو على وجهه علامات الوقاحة.. ما زالت تتذكر جيداً ولكنها لا تريد الحديث عن الماضي.

وأخيراً تكلم.. بصوت بارد، خفيف، متحفظ، وكأنه يخاطب محكمة:

- لو أعطيتني الفرصة.. لشرحت لكِ بأنني لا أهتم بهذا وخاصة معكِ.

أحست بأن الألم يطعنها كالسكين. فاتسعت عيناها.. وحين لاحظ رد فعلها ابتسم بمرارة:

- واضح أنك ارتحتِ.. أنا لا أرغب في امرأة أخرى.. ولا بعشيقة أخرى.. ولا أحب إغواء الفتيات رغماً عنهن، لأنه أمر متعب، ومكروه، لكلا الطرفين.. لأنني أفضل.. هل أقول.. امرأة لديها خبرة؟

- هكذا إذن.

أحست بالألم خلف عينيها، وكادت أن تبكي.. لكنها أبقت على صوتها متزناً ومتجهماً. فأكمل:

- باختصار.. أنت جميلة جداً مايسي. لكنك لست من الصنف

الذي يستهويني. فأنت مزيج من الحرارة والبرودة.. لكن.. أرجوك لا تبكي ولا لزوم للعواطف في هذا النطاق.

وقفت مايسي تحدق به وتمسح الدموع بيد غاضبة:

- لا شك أنك تستمتع بذلك؟ فضلاً عن اعطاء الموقف بعداً آخر تود أن تذلني وأن تجللني بالعار.. يا إلهي كورد.. أرجو أن تكون قد اكتفيت!

- حسناً.. أنا آسف كنت مضطراً لجعلك تمرين بتجربة عاطفية، ثم عدلت عن رأيي لأنك تعجلت المراحل...

- لا.. ومن يأمن شرك ويقتنع بأنك لن تستمر في انتقامك، كورد.

فابتسم ساخراً:

- الانتقام؟ أعترف أن الأمر كان مسلياً.. أن أراقب صراعك مع ضميرك.. وأعترف برغبتي بمتابعة تحركاتك مايسي حتى تقري بحقيقة دوافع ما تقدمين عليه. فلا تقولي إنها تضحية من أجل الآخرين..

- كيف تجرؤ؟ أتظن أنني أودت النفي بذلك؟

- لقد أظهرت رشاقة وابتهاجاً في خلع ملابسك. في الواقع كنت سأقول أنك خبيرة محترفة.

ومد يده برشاقة وبسرعة ليمسك يدها التي ارتفعت لتصفعه:

- لا.. هذا لن يتكرر. فقط اصغي إلي.. فلدي اقتراح بديل.

- أوه.. صحيح؟ لكنني لست مهتمة!

- من الأفضل لك أن تهتمي، فالصفقة لا تزال قائمة. لكنني أرد اقتراح بديل لشروطها، فقد تكونين مفيدة لي جداً مايسي.

- مفيدة؟

www.rewity.com

- أجل.. فكما قلتُ لستُ بحاجة الى عشيقة أخرى.. لكنني بحاجة الى زوجة.

- ماذا؟

يا للدهشة.. لم تقاوم فبقيت يدها بين يديه، وحدقت به غير مصدقة.. فتركها، وجلس كأنما يتحداها بأن تهرب.. لكنها بقيت، مسمرة، تنظر إليه..

- الأمر بسيط حقاً، فأنا في الثانية والثلاثين، وغني جداً.. وأُعْتَبَرُ ناجحاً بكل ما أفعله. حتى الآن لا أميل الى الزواج.. ونجوت من كل مكائد النساء الهادفة للإيقاع بي.. لكنني أجد الأمر متعباً جداً.. فلو تزوجت.. سأتحرر من كل هذا.

- أحقاً ترغب في الزواج.. لماذا؟ أتتخلق لنفسك الأعذار؟

- شيء من هذا القبيل. وستكون طريقة مقنعة لإنهاء كل العلاقات الأخرى التي يمكن أن تشكل لي أزمة أو ورطة.

- أظن أن الاقتراح شرير ومريع، ولا يمكن لك أن تعنيه!

- أوه.. ولكنني أعنيه. فالزواج ليس مجرد عقد قانوني وإذا ساورك شك ما.. اطلعي على إحدى قضايا الطلاق التي توليتها.. وانظري ماذا يحصل عندما يقرر الناس إلغاء هذا العقد. أتظنين أنهم يتحدثون حينها عن الحب أو المسؤولية أو الرغبة يا مايسي؟

وضحك بمرارة:

- أؤكد لك بأنهم لا يتكلمون سوى عن المال والممتلكات الخاصة.. ربما لا تصدقيني.. فأنت رومانسية.

- ماذا تقول؟ هذا غير صحيح فقد تتعقد الأمور وتفشل أحياناً.. رغم الكلام والوعود التي يقطعها الزوجان في البداية.

فضحك:

- أوه.. حسناً.. إنهم يقولونها ويعنونها.. وأعترف أن مراسم الزواج مظاهر شاعرية... لكن إذا قطع الناس هذه الوعود، فعليهم الالتزام بها. أليس كذلك؟ وأظن أن من واجب المرء أن يخترع نوعاً جديداً من الزواج.. دون شاعرية، دون قسم. مجرد اتفاق عملي قانوني.

- هذا ليس زواجاً!

- إنه بديل.

فضحكت ساخرة:

- لا أظنه يستمر.

- قد يستمر.. وهذا ما أعرضه عليك!

- علي أنا؟

- طبعاً.. سيمكنني هذا من ممارسة حياتي الخاصة كيفما أشاء، وأظن أننا سنتفق معاً.

- بالطبع أنا لن أتفق معك!

- ولِمَ لا؟

- لأنني لا أحبك.

- لكنني أقترح اتفاقاً عقلياً.. أفلاطونياً..

- عقلياً؟

- طبعاً.. ولا تخافي أن أستغلك.. ستحصلين على غرفتك الخاصة.. فلا تقلقي مايسي، ولا حاجة لك لإقفال بابك.. فلن أفرض نفسي حيث لا أكون مرغوباً.

شيء ما في صوته جعلها تتردد:

- اتفاق؟

- أجل.. يمكن تسميته اتفاق قديم العهد.

www.rewity.com

- قديم العهد؟

- كفي عن تكرار كلماتي.. أنت تعرفين تماماً ما أقصد. أعلم أنك وجدت صعوبة في التمييز بيني وبين أخي.. لكن ذاكرتك لم تنسَ أبداً.. وأجد غرابة في ترددك بالحديث عن فانكوفر...

أحست مايسي بالدم يضج في أذنيها. أحست بالسنوات تمر أمام عينيها، رأت وجهه يتغير، ويسترد طفولته وبدا لها أكثر لطفاً.. فغطت عينيها بيديها.. فسارع يقول:

- إذن أنت لم تنسي؟

- لقد مر زمن طويل...

- ربما أستطيع إنعاش ذاكرتك. أتذكرين المنزل مثلاً؟

- طبعاً أذكره!

فجأة أحست بالعرق يتفصد على جبينها، وتابع:

- ربما تذكرين قطعة الأرض الممتدة الى البحر؟ والمرعى خلف المنزل؟ أتذكرين؟

فاستدارت نحوه بغضب:

- توقف عن هذا!

- وتذكرين تبعاً لذلك وجودنا هناك عند عمتك كارلا، وأيغال وأنت.. وأنا.. وليو..

صاحت وهي تلتفت بعنف نحوه:

- هذا يكفي! أنت لست في المحكمة الآن.. واسمع استجوابي.. اتركني وشأني.. فأنا لا أذكر شيئاً!

- لا تذكرين أم لا تريدين أن تذكري؟ أيهما مايسي؟

ومد يده يمسك ذراعها.. لكنها تمكنت من الإفلات منه. مع ذلك أحست بالصور تتحرك في أعماق ذاكرتها.. وعرفت دون

سبب أن عليها تجاهلها وتعمدت تغيير الموضوع فقالت:

- اقتراحك سخيف!

- ليس سخيفاً.. عليك مواجهة الماضي عاجلاً أم آجلاً. فلِمَ لا يكون اليوم؟ هل تخافين من كل ما حدث أو أحسستِ به؟

- اصمت.. استحوذ الماضي عليك فلم تأتِ على ذكر سواه.. منذ التقينا...

- ربما لأنه مهم لي...

فردت بحدة:

- حسناً.. لم يكن مهماً لي.. كان ذلك مجرد عطلة، كأية عطلة أخرى.. كنت يومها في الخامسة عشرة من عمري.. والوقت الذي أمضيناه هناك لم أعد أفكر به...

- وهل هذا صحيح؟

كل ما تفكر به الآن هو كيفية إيلامه بقدر ما تألمت بسببه..

فردت ببرود:

- طبعاً صحيح! وبالتأكيد أنت.. كورد.. من بين كل الناس لا تتصور شيئاً مختلفاً؟

- ما الذي حدث إذن؟

- لا شيء.. ولا أعرف.. ربما عبثت معك قليلاً..

وضحكت ضحكة كريهة محسوبة وأكملت:

- ربما أكون أشبه أمي على كل الأحوال.

سيوقفها الآن عند حدها لا شك. سيصيح فيها أنها تكذب. ويجبرها على الاعتراف بالحقيقة، يقول لها إن ما تقوله كذب.. وإنها يوماً ما... لكنه لم يتحرك.. ولم يقل شيئاً.

أخيراً استدارت وقالت بصوت مخنوق دون أن تنظر إليه:

www.rewity.com

- وأنت؟

- أنا؟

- أجل أنت. يبدو إنه استجواب من طرف واحد.. إذا كنا سنتحدث عن الماضي الخيري كورده ماذا كنت تشعر يومذاك؟

وتصلب وجهه ورد ببطء متعمد:

- أوه.. ألا تعلمين مايسي؟ أعتقد أن الأمر واضح.. فأنا مثلك لم أشعر بشيء إطلاقاً.. ربما بانجذاب عابر، كما قلتِ.. ولا أستطيع التجديد في ذلك السن.

ألمها ما تفوه به وخسرت آخر أمل تعلقت به وكأنها خطت الى الفراغ.. وأرادت أن تصرخ.. لكنني كذبت.. ما قلته غير صحيح، لكنها لم تستطع أن تتكلم.. فقد أمسك الخوف بكلماتها بل هو أكثر من الخوف.. إنه شك قاتل رهيب.. ربما كان على حق! فطوال هذه السنوات كانت تتمسك بكذبة.. فاستدارت عنه، وقالت مرتجفة:

- أنا لا أفهمك... وليس بيننا أي اتفاق.

- هذا واضح. لم أكن دقيقاً في تقديري. كان يجب أن أكون أكثر دقة. لقد بدا لي أنه سيكون اتفاقاً ناجحاً نظراً لما حدث بين أبي وأمك...

فقاطعته بشراسة:

- زواج دون حب؟

- هل يمكن أن ندعوه زواج مصلحة واتفاق؟

- ادعه كما يحلو لك! ألبسه أي ثوب يرضيك! إنه نوع من الانتقام مهم زيفته... ولن يكون لي شأن به!

فتقدم منها خطوة.

- حسناً.. نعود الى الطلب الأول.

حدقت فيه مذعورة:

- ماذا؟ بعد كل الذي قلته لي؟ لقد قلت انك تفضل.. المرأة الخبيرة؟

- هذا صحيح.. بوجه عام.

وابتسم لها باسترخاء، وأرجع لها شعرها عن كتفيها ووضع يده على عنقها وقال بصوت ناعم:

- عليّ أن أقبل بالموجود.. أليس كذلك مايسي؟

ونفضت يده عنها بغضب:

- لا! لن تفعل! سمعت كل هذه الألاعيب! سأفعل ما كان يجب فعله منذ البداية.. سأخبر الشرطة بكل ما حصل..

- أوه.. انعطي أرجوكِ. فعائلتك لا تخلو من الفضيحة.. وبذلك تحصل ابيغال على حكم مع إيقاف التنفيذ.. وديكي سيخلص لها وسيقف الى جانبها.

وترك التهديد يتغلغل في أعماقها.. وساد الصمت.

- لن تستطيع فعل هذا.. كورد أرجوك! لطالما آمنتُ...

- آمنتِ بماذا؟

- بأنك... شريف.. أعرف أنك تكره أمي وعائلتها.. لكنني أرجوك كورد.. فأنت لا يمكن لك...

- ربما تغيرت.. وأنتِ قادرة على التغير مايسي، والله أعلم.

عاد الخوف يجتاح قلبها وبدت على وجهه كراهية باردة لم تفهمها.. استدارت بسرعة على عقبيها مبتعدة:

- أنا ذاهبة.. مكتفية بذلك.

فجأة أمسك بها بين ذراعيه.. بعنف وغضب مكبوحين.

www.rewity.com

- وأنا سئمت من أكاذيبك وادعاءاتك اللعينة. أنت لن تغادري هذه الغرفة حتى تقرري بطريقة أو بأخرى.

وجذبها أكثر بين يديه ليصبح فمه على شعرها:

- مايسي.. هل هذا صعب جداً عليك؟ لماذا لا تغمضين عينيك؟ لماذا لا تتخيلين أنني آخر؟

اعتصرت قلبها ثورة عارمة فدفعته بقوة وصاحت:

- لا! كيف أحتملك وأنا أعرف تماماً مقدار كراهيتك واحتقارك لي.. وأنني لا أوافق هواك؟ الأفضل أن أموت.

- لا تكوني مأساوية!

- حسناً.. سأعالج هذا الموضوع وفق طريقتك كورد.. ببرود.. وكأنني آلة.. هذا ما يعجبك أليس كذلك؟ سأتزوجك وحسب شروطك.. ولي شرط واحد وهو أن لا تلمسني أبداً. عله يجعلك يائساً بقدري.

وضحك تجاه غضبها:

- أهذا قرارك النهائي؟

- أجل.. قراري النهائي!

نظر الى ساعته:

- هذا جيد.. اتفقنا. سنتزوج بعد أسبوع، وسأحصل على رخصة خاصة.. وسنسافر الى باريس لقضاء شهر العسل. لدي أعمال أقضيها هناك، وهكذا نحافظ على بعض المظاهر. والآن.. بعد أن اتفقنا. أتحبين أن أتصل لك بتاكسي ليوصلك؟

حدقت به مايسي غير مصدقة، وقد التقط الهاتف بكل اتزان وطلب التاكسي.. ثم استدار.

- عظيم.. سيكون هنا بعد دقائق.. دعيني أحضر لك

معطفك.

- كورد.. لا يمكنك فعل هذا!

- بل أستطيع.

ألبسها المعطف متحاشياً ملامستها. فنظرت إليه بعينين جف دمعهما وبصوت تخنقه البحة:

- كنت تخطط لهذا الانتقام منذ البداية.

- هذا ممكن.

- أكرهك! وهذا الزواج كريه.. كذبة لعينة! وسيكون كالجحيم لنا معاً.. وأنت تعرف هذا!

- لا تقلقي مايسي.. سيكون جحيماً في غرف منفصلة.. والآن دعيني أوصلك الى السيارة.

* * * * *

ثوب العرس كان قديماً.. يعود لأمها. ثبتت طرحته على رأسها بزاوية حريرية من الزهور القماشية واللآلىء. نظرت الى نفسها فرأت الزهور أكثر بياضاً من بشرتها واللآلىء تتدلى كالدموع. فأشاحت بوجهها.. لقد حان الوقت.

عبر الغرفة كانت أبيغال في السرير تبكي بصمت.. فأحست مايسي برغبة جنونية للضحك، فهذا زفاف أشبه بالجنازة. ووقفت:

- أبيغال أرجوك.. لا تبكي الآن.. أرجوكِ توقفي.

نفخت أبيغال أنفها في المنديل:

- لا أستطيع فهم ما تقدمين عليه.

- ولماذا يتزوج معظم الناس؟

- ماي! لا يمكنك إخفاء الأمر عني! أنت لا ترغبين في الزواج منه.. لطالما كنت تكرهينه..

www.rewity.com

- هذا غير صحيح!

- لقد فاجأني قرارك، زواج دون حفل أو حضور. الأمر فظيع مايسي!

- كورد...

وترددت.. عليها أن تعتاد مناداته:

- كورد أراده زواجاً سريعاً قدر الإمكان.

- ماي... أنت تكذبين عليّ.. فالأمر يتعلق بالمال. أليس كذلك؟

- بطريقة غير مباشرة.

- تلك هي غلطتي! الورطة هي التي جعلتك تقابلين كورد ثانية... أوه ماي.. أنا واثقة أنك مخطئة.

ابتسمت لها مايسي بلطف.. هذا صحيح.. ليس المال أو ما فعلته أيغال هو ما دفعها للموافقة.. إنه الماضي، ورجل استطاع احتضان الانتقام عشر سنوات.

نظرت الى ساعتها بقلق، ثم الى عيني شقيقتها بيأس:

- حسناً.. يجب أن نذهب الآن.

- لا تحزني.. فتكدري مايك.

خارج المنزل، سيارة كبيرة فخمة كانت تنتظر، وكان مايك، رب عملها ينتظر، قبّلها بحرارة، وساعدها وشقيقتها على الصعود وابتسم لها والسيارة تنطلق.

- أتعلمين عزيزتي.. لم أكن مسؤولاً عن تسليم عروس الى عريسها من قبل. حتى أنني لم أحضر زواجاً من قبل.. ومنذ أكثر من عشر سنوات.. كان يجب أن يحل والدك مكاني.. وكان يجب أن تبرقي له.

ضغطت على يده بلطف:

- أنا سعيدة بوجودك.

غصت أيغال ببكاء مكبوت، توقفت السيارة.

- أوه.. ماي!

أمسك مايك بيد مايسي.

- أصمتي أيغال.. إنها تعرف ما تفعل.

تركتهما أيغال متقدمة أمامهما.. واستندت مايسي بضعف الى ذراع مايك. ترددت قليلاً ثم رفعت «الطرحة» الى الأمام لتغطي وجهها، ودخلت الكنيسة. كان الأرغن يعزف عزفاً ناعماً، داخل الكنيسة عتمة تسربها شموع بنارها المتموجة المدخّنة.. وكان المكان خالياً تقريباً.

لكن مايسي لم تشاهد المقاعد الفارغة، ولا الأشخاص القليلين على جانبي الممر العزفي الى المذبح. فمنذ لحظة دخولها لم تشاهد سوى شخص واحد.. ذلك الرجل الطويل الأسمر، الرهيب وظهره إليها عند المذبح.. تحركت نحوه وكأنها الشبح، تحلم.. غير واعية بما تمشي.. استدار الشيخ حين اقتربت والتقت عيناه الرماديتان بعينيها. «أيها الأحبة الأعزاء.. إجتماعنا اليوم هنا...» أخذ الكاهن يرتل الكلمات بدلاً من القائها، وبدت الكلمات لمايسي أنها آتية من البعيد.. حاولت أن تشيح بوجهها عن وجه كورد ولم تستطع فعيناه كانتا تحرقانها.. وجهه جديٌّ، وتعابيره متجهمة.

أمسك يديها خلال تلاوة المراسم ولم يتحرك.. وفجأة.. تلاشى قلقها، وبدا لها أن قوة ما تنبض في أيديهما المتشابكة، من جسده الى جسدها، فأحست على الفور بالطمأنينة، وبأمان غير

www.rewity.com

عادي، سرى في شرايينها مع الدم..

والتفت الكاهن نحوهما:

«أتقبل بهذه المرأة زوجة لك، لتعيش معها كما أمر الرب في سر الزواج المقدس؟ هل ستحبها، تواسيها، تحترمها، تحافظ عليها، في المرض والصحة وتخلص لها طالما أنتما أحياء؟»

عينا كورد ما زالتا مسمرتان بها.. بساط صمت طويل بارد. بدا لها أن كل الدماء جفت من شرايينها.. وفكرت، بجنون:

ـ سيكذب الآن، ويجب أن تمنعه قبل أن يقسم يميناً كاذبة.

وتصاعدت الكلمات الى فمها، لكن الصمت انكسر وتعالى صوته العميق الأجش:

ـ «سأفعل!»

فماتت الكلمات على شفتيها... وشَحِبَ لونها من الهلع عندما استدار الكاهن إليها:

«هل تقبلين بهذا الرجل...»

تمسكت يد كورد... تنظر إليه. إنه لا يرى وجهها من خلف الخمار، لكنه قد يرى عينيها القلقتين اللامعتين... وربما أحس بشيء ما، فتغير وجهه للحظة.. وربما الشك الذي تلاشى على الفور. كم هو متكبر... وفي تلك اللحظة، طغت على سطح ذاكرتها صور الماضي والعلاقة القديمة وعواطف مكبوتة أطلقت عنانها الآن فملأت قلبها بالحب الذي أنكرته على كورد..

وتناهت إليها كلمات الكاهن، بوضوح كامل، تحدد الزمن مع الذكريات، ليصبحوا إيقاعاً ضخماً يستولي على تفكيرها، وعلى نبضات قلبها.. الأمر بسيط إذن.. وليس بهذا التعقيد.. لقد رغبت بذلك قبيل أن تبلغ مشارف أنوثتها وتضرجها منذ زمن

بعيد.. في ذلك البلد. وها هي الآن تحس أنها واقفة.. فوق صخرة مرتفعة والريح المنعشة تهدهدها.

«... تتخلين عن الآخرين.. تلتزمين معه.. في المرض والصحة، تخلصين له، طالما أنتما أحياء؟»

ترك كورد يدها.. فاستدارت تنظر الى الكاهن ودون تردد أو تأخير قالت:

ـ سأفعل!

انتهى الأمر... فسرت تهيدة وكأنها ريح باردة عبر الحشد الصغير.. وارتجفت أنوار الشموع للحظات. كانت مغمضة العينين.. إنه صوتها.. تكلمت.. وأقسمت.. لكنها لم تشأ لشفتيها أن تتحركا.. ثم تذكرت لحظة الانفصام. لا بد أن الكلمة خرجت من الموسيقى الصامتة في قلبها.. أو من الماضي.. صحيح أن امرأة ناضجة تقف هنا، إلا أن فتاة صغيرة هي التي تكلمت.. وانتهى الأمر! والتفتا معا الى الكاهن ليقول كل بدوره بصوت مضطرب:

«بهذا الخاتم أتزوجك..»

كان خاتما ذهبيا بسيطاً... كانت يداه ترتجفان وهو يضعه في إصبعها، فأحست بلمسة باردة... وتلاشت الموسيقى والم التفكير رأسها.. لقد كذب، هذه الحقيقة أخافتها وحدقت بيديه.. لم تكن قد أحست يوماً أنها أقرب من الآن من خطيئة إنسان.. بقيت عيناه تنظران في الأرض ولم يخبرها وجهه بشيء.

ركعا.. تباركا... وصوت الكاهن صدى أنغام فوق رأسيهما المنحنيين...

عاد الأرغن للعزف ثانية بعد أن وقفا.. فاستدار كورد إليها

www.rewity.com

يرفع الطرحة عن وجهها، والتفت نظراتهما فحجبت العالم من حولهما.. أضاء الأمل في نفسها لحظة لمس الخمار.. لكنه انطفأ كما تنطفىء الشعلة من جراء النظرة الباردة التي رأتها في عينيه الرماديتين. ومال إليها وقال بصوت مرتبك:

- يجب أن أقبلك مايسي.

وبصعت رفعت له وجهها، مغمضة العينين. فأمسك بذراعيها وقبلها على جبينها، فأحست بقلبها يحترق.. إنه يقبلها كما يقبل طفلة ليطمئنها..

كان كورد، قد رتب كل شيء.. فذهب الجميع الى منزل قريب لأحد أصدقائه. كانت النار مشتعلة ترسل الدفء في غرفة الاستقبال ورائحة الورد والزنبق تفوح من السلال التي غص بها المكان.. على طاولة في الزاوية كان الطعام والمقبلات والشراب.. لكنها كانت تنظر الى ما حولها بعينين مكتئبتين، تحس وكأنها تتحرك بصعوبة وكأن صداعها يشل حركتها. كان هناك مجموعة صغيرة من الضيوف.. مايك كان هناك، يتحدث الى اللايدي تنت، التي جاءت دون تردد بناء على إصرار مايسي.. وكذلك ديكي مع أبيغال.. ورجلان آخران لا تعرفهما مايسي، أصدقاء لكورد كما تعتقد... وكادت مايسي تنفجر بالضحك.. هذا كله أمر سخيف... هذه التمثيلية التي أصر عليها كورد.. إنها لا ترى ضرورة لها إلا إذا كانت رغبته في أن يجعلها أكثر تعاسة مما هي عليه. كانت تتوقع احتفالاً بسيطاً متواضعاً.. في مكتب تسجيل العقود، والشهود من الشارع.

- يا عزيزتي!

والتفتت لتجد اللايدي تنت تهنىء كورد، وتشير الى أيام

المدرسة مع ابنتها.. ثم تقدمت لتقبل مايسي مبتسمة:

- أنت كتومة وغامضة عزيزتي... لقد قلت لي إنك لا تفكرين بالزواج!

- لم أكن أفكر به.. لقد حدث هذا فجأة.

- صحيح؟ لكنكما تعرفان بعضكما منذ الطفولة.. أظن أن أبيغال قالت هذا..

- هذا صحيح.

- أتمنى لكما السعادة يا عزيزتي.. كم تبدين جميلة، بوجنتيك المحمرتين.

مر الوقت بطيئاً.. لكن دفء النار والطعام الممتاز، والجو الحميم، ترك تأثيره على مايسي فانسجمت بالأجواء التي مالت تدريجياً الى المرح والارتياح وتخلى الساهرون عن تحفظهم فتجاذبوا الأحاديث. ولم تنس مايسي التودد الى أصدقاء كورد.. ومايك وأختها أبيغال.

تقدم ديكي مهنئاً مبدياً سعادته لما أقدم عليه كورد معلقاً:

- هذا أفضل ما حدث له في حياته. أتعلمين...

أرادت أن تسأله ماذا يعني.. لكن صوتاً آخر شد انتباهها:

- مايسي... كيف التقيتما ثانية بعد هذه السنوات.

التفتت بسرعة، لترى الوجه العريض ذي الشعر الأشقر المائل للاحمرار، هو أقل كثافة من شعر كورد. بدا وسيماً بفمه الطفولي، فنظرت في عينيه الرماديتين وقالت بصوت منخفض:

- ليو!

وقبل أن تعترض تقدم منها يعانقها.

- كنت أظن أنك نسيتني!

www.rewity.com

- لم أنسكَ أبداً.

وتحررت منه بسرعة، فبدت على وجهه السخرية:

- أوه.. لا تنظري إلي!

اتسعت عيناه، بطريقة صبيانية، ورمقها بنظرة صريحة لم تكن تثق بها أبداً. وأخفض صوته هامساً:

- أنا لست مدعواً ويفترض أن لا أكون هنا. ألا يصدمك هذا؟ شقيق العريس.. وصديق قديم لك.

- ألم يدعُك كورد؟

- بل أصدر أوامره الصارمة بالابتعاد الى مكان آخر. أتساءل لماذا؟ أتعلمين؟

نظرت إليه مايسي ببرود:

- إذن ألا يجدر بك أن تغادر؟ أظنه بإمكانك، فهو لم يرك بعد...

- أنت محقة يا حبيبتي.. إنها نصيحة جيدة، لكنني لا أعمل بالنصائح الجيدة.. فهذا هو مبدئي.

- لم أكن أعلم أنك ذو مبادىء.

لكنه تجاهلها وأكمل وكأنه لم يسمعها:

- كان يجب أن أراك، مايسي. تبدين جميلة. وكذلك أبيغال. كيف حالها؟ وهل سويتم تلك المزامرة الصغيرة؟

- الأفضل لك أن تسأل كورد في هذا.

- حقاً؟

- اخرج من هنا!

إنه صوت كورد.. وتقدم ينتزع يد أخيه عن ذراع مايسي التي نظرت الى وجهه فتلمست فيه الغضب لكنها اطمأنت لأن أحداً لم

يشعر بما حدث. تراجع ليو، ثم استعاد رباطة جأشه والتقت عيناهما:

- اجبرني على الخروج!

ونظر كورد في وجه مايسي الشاحب ثم في وجه أخيه الذي تثاقلت أنفاسه ثم تقدم من مايسي يتأبط ذراعها بعيداً عن ليو. اقترب مايك يبدد القلق رافعاً كأسه:

- اشربوا نخب العروسين السعيدين مايسي وكورد..

التفت إليه الجميع، ورُفعت الكؤوس، وتعالت الضحكات... ووسط الهرج والمرج، ظهر الخادم بكل فخامة يجر أمامه عربة طعام عليها قالب حلوى مذهل.. لاحظت مايسي دهشة كورد مما فاجأه به الخادم فهذه الحلوى من صنع يديه.. فتقدمت مايسي الى الأمام وشكرت الخادم بقبلة خجولة بينما كان كورد مقطب الجبين متجهماً.

- إنه جميل! شكراً لك.

- شيء متواضع، سيدتي.

رفع القالب بحذر ليضعه على الطاولة أمام الجميع، فتحلق الموجودون حوله.. تطلعت مايسي بالحيرة والسعادة ونظرت الى كورد تمسك بسكينة فضية ملفوفة بمنديل سفرة أبيض كانت بجانب القالب:

- يجب أن تقطعها كورد.

استجمع كورد نفسه بصعوبة.

- طبعاً.

أمسكا بالسكين بيدين مرتجفتين ليوجه كورد طرفها الى قلب الطابق الأول، ثم أمسك بأصابعها، يضغط عليها بقوة.. وأجبر

www.rewity.com

السكين أن تقطع عميقاً، لكن مايسي لاحظت أنه لا ينظر الى القالب، بل الى الطرف الآخر للغرفة.. نحو لبو الذي كان يقف غير مبالٍ، يتكىء على الباب.. تحيَّن لحظة نظرت إليه فرفع كأسه بتحية ساخرة.. فأشاحت بوجهها عنه.

أخذ الخادم يقطع الحلوى ليوزعها.. لكن كورد نظر الى ساعته وقال لها:

- يجب أن نذهب بعد قليل.

- الأفضل أن أغير ملابسي.

- نعم.. هذا أفضل.

انفردت مع شقيقتها في الغرفة التي فيها ستبدل ثيابها وأحست بالارتياح.. نزعت الخمار عن شعرها، وساعدتها أبيغال على خلع الثوب. فلاحظت شيئاً ما على يد مايسي اليمنى فقلقت:

- أوه.. حبيبتي! انظري! ماذا حدث لبدك؟ إنه أثر السكين الذي أمسكت به لا بد أن كورد لم يشعر كم كان يضغط على يدك، علامة وكأنها الوشم حين تجمد خطاً دموياً تحت جلد يدك.

وضحكت أبيغال:

- كورد لا يعلم مدى قوته. الأفضل أن تحذريه حبيبتي.

فابتسمت مايسي، وقد سرها أن ترى أبيغال سعيدة. ثم قالت بسرعة:

- أوه.. ليس مهماً.

وأكملت خلع الفستان. السيارة الفاخرة التي أحضرتها الى الكنيسة أخذتهما معاً الى المطار.. وبينما هما يغادران المنزل رشت أبيغال الأرز عليهما، ورمتهما اللايدي تنت بحفنة من الأوراق على شكل قلوب وأجراس ملونة.. في الطريق قال كورد

لمايسي:

- أظن أننا سنصل ليلاً.. الرحلة ستستغرق ست ساعات فوق المحيط... باريس دائماً جميلة، لكن للمرة الأولى يجب أن يشاهدها المرء ليلاً.

لم تفهم مايسي ما يعنيه. كلماته جعلتها تتوتر، فهزت رأسها دون تعليق. وراقبها كورد صامتاً للحظات، ثم أشاح بنظره عنها.

في الطائرة كلمها مرة أخرى:

- اعطني جواز السفر لأنجز لك أوراق تذكرة الدخول.

أخرجت الجواز بصمت، هذا الجواز حصل عليه بمساعدة صديق له في وزارة الخارجية، قبل ثلاثة أيام.. كان الاسم عليه «مايسي باكلير» فأشاحت بنظرها عنه. إنها الآن زوجته، خاتمه في إصبعها، وفي الكنيسة قطعت الوعد المقدس.

وبدأ الألم يثور مجدداً خلف عينيها. وعلمت أنها لو تركت نفسها للتفكير.. لتدفقت الذكريات.. ذكريات عن منزل قديم معزول، بنيَ عند عنق لسان عريض من المراعي يدخل في البحر، وصيف طويل حار، وشقيقان. ذلك المساء تركت نافذة غرفتها مفتوحة، مستلقية في فراشها الأبيض تصغي الى هدير أمواج البحر عند الجرف الصخري البعيد. كان الجو عابقاً برائحة طحلب الماء، والعشب الجاف، والعرزال والخلنج البري.. كورد قال ذات مرة: شعرك رائحته كالخلنج.

- بماذا تفكرين؟

استفاقت من ذكرياتها.. أرادت أن تقول: أفكر بك... بالشخص الذي كنته لكنها احمرت خجلاً فهزت برأسها:

- لا شيء.

- سنصل بعد نصف ساعة.. والمسافة من المطار الى الفندق تستغرق ساعة.. سنتناول العشاء حال وصولنا.

أحست بالخوف ثانية فردت بسرعة:

- لا.. لست جائعة. لكنني تعبة.. وأنا..

- كما تشائين! سأطلب من الفندق إرسال العشاء الى جناحنا في حال غيرت رأيك.

كان الهبوط لطيفاً. ولم يكن المطار مزدحماً كثيراً، ومرا عبر الجمارك ثم عبرا دائرة الجوازات بسرعة. أقلتهما سيارة مارة عبر الشوارع المزدانة بالأنوار وعندما توقفت، فهمت مايسي ماذا كان كورد يعني.. أمامها تماماً امتداد المدينة السحرية، مدينة الصخب والأنوار.. ووقفت هناك، متخلصة من خوفها، ليخفق قلبها فقط بالسعادة.

- كورد.. إنها جميلة جداً. أريد رؤيتها كلها.. كل شيء فيها.

- لا أستطيع التصديق.. هل توافقين؟

تضحك ولأول مرة لم تشعر بالخوف منه.. بدت عيناه أكثر دفئاً، وأمسكت بكم سترته دون تفكير. وعلى الفور أحست بحرارة يده فوق يدها. فرفعت وجهها إليه شاكرة.. كانا متقاربين أكثر مما ظنت، وحين احتضنها أحست بسرعة حنين غير عادي فحبست أنفاسها. إنه إحساس مطالب جاء رأساً من قلبها دون المرور عبر عقلها. وكأن دمها، ذاتها، هما المفكران. أحست بنفسها تلتصق بجسده، كانت أنفاسه قريبة من بشرتها، وفمه قريب كذلك. لكنه لم يكن بالقرب الذي تشتهيه نفسها الآن.

☆ ☆ ☆ ☆

٦ - تزوجت وهماً!

دخل كورد ومايسي بهو الفندق وأتى من يهتم بهما ويحمل حقائبهما وكانت الأنوار الساطعة تغشي البصر مما أبهر عيني مايسي.. وتقدم رجل صغير الجسم، يرتدي بذلة سوداء رسمية مادّاً يديه مرحباً:

- مسيو باكلير، سيدتي! أهلاً بكما في باريس... وتهنئتي القلبية مسيو، والى المقام الجميلة. إنه شرف لنا مسيو باكلير.

رد كورد عليه بفرنسية طليقة، وحاولت مايسي أن تفهم ما قال. فلاحظت أن كلامه أصبح أكثر حدة عندما طرح على المدير سؤالاً. فتجهم وجه الرجل.. وبدا عليه الشك، ثم قال:

- كيف؟ لكن لا! مستحيل... تلقينا برقية بالأمس.

واستدار الى مكتب الاستعلامات، ليخرج ورقة، نظر إليها كورد متجهماً. وأخذ المدير يتمتم بكلمات الاعتذار.. استدار كورد نحو مايسي ليمسك بمرفقها ويتنحى بها جانباً.. قائلاً بصوت متوتر:

- مايسي!

- ما الذي حدث؟ ألم يتلقوا برقية الحجز؟

- بلى.. لكن الحجز تغير.

www.rewity.com

نظر الى حيث كان المدير يدور حول نفسه بقلق، ثم تحرك يحجب وجهها عن نظر المدير، وأخفض صوته:

- مايسي.. أوجوك صدقيني.. يجب أن تثقي بي. لقد حجزت جناحا بغرفتين لكن بطريقة ما تغير هذا الحجز بعد أن تلقى الفندق برقية لتغييره البارحة.

- برقية؟.. لست أفهم.

- فكرة أحدهم للمزاح كما أظن.

- لكن من يكون؟ ألا يمكن التغيير؟

فهز رأسه:

- يبدو أن الأمر مستحيل.. فنصف الفندق مقفل للتصليحات التي لا تنتهي قبل الربيع. وهناك مجموعة كبيرة حجزت ما تبقى هذا الصباح.

انزعاجه وغضبه كانا ظاهرين، فلم تشك مايسي بكلامه. تنفست عميقاً وأمسكت بكم سترته وهي تبتسم:

- أوجوك كورد.. لا تهتم.. لا بأس بما حصل.. نستطيع تدبر أمرنا.. أرجوك. أنا واثقة أن غرفة واحدة ستكون جميلة ومريحة.

تردد قليلاً، ثم قال بعصبية ظاهرة:

- أتظنين أنني...

فقاطعته بثبات:

- لا.. بالطبع لا. والآن قل له إنني سعيدة.. هيا.

للحظة برقت عيناه بما يشبه الاعجاب، واستدار الى المدير:

- حسناً... زوجتي سعيدة بهذا.

تهلل وجه المدير، وأدار وجهه الشاحب ابتسامة قرافقهما حتى المصعد منحنياً لهما، فأمسك كورد بذراع مايسي وتقدما

نحوه.

كانت الغرفة من أجمل الغرف التي شاهدتها في حياتها.. سقفها تزينه قناطر مزخرفة رائعة.. في طرفها الآخر أبواب مرتفعة تؤدي الى شرفة تطل على منظر جميل.. فيها صندوق مزخرف بالحفر سطحه من الرخام، الخزانة كبيرة تناسب حجم الغرفة، لها أبواب من خشب الورد ثبت في داخلها مرايا طويلة. السجادة أثرية زهرية اللون مزينة بالزهور.. في طرف الغرفة باب يقود الى حمام كبير أرضه من الرخام، ومغطس ضخم له قوائم كأنها مخالب.. وعبر باب آخر غرفة جلوس صغيرة فيها طاولة مغطاة بشرشف أبيض، عليها بعض الطعام وبعض الشراب وضع فيه الثلج ليبرد. كانت الزهور تحيط بمايسي من كل الجهات مما أبعد عنها شبح الشتاء وقساوته: الغردينيا، الورد، السوسن، والتوليب بألوانه المختلفة.. نظرت للطرف الآخر من الغرفة، ثم أشاحت بوجهها.. ثم أعادت النظر: هناك السرير، يحتل المسافة الأكبر من الغرفة، فاحمر وجهها وعاد التوتر إليها. كان السرير عريضاً، مغطى بأغطية بيضاء مطرزة، عليه وسائد كبيرة مربعة مزينة بالشرائط المخرمة. جانبه الأعلى عند الرأس أثري قديم من الخشب المحفور، تمثالان لطفلين ملائكيين يمسكان بستابل من الخشب المحفور بين أيديهما القصيرة وبطلان بحياء من الزوايا.. ستارتان من «الدانتيل» الأبيض تتدليان فوق الرأس. إنه سرير الزواج.. سرير للعشاق.. وليس للنوم. فاستدارت مايسي نحو النافذة تنظر ما خلفها، منتظرة خروج المدير والحمالين.

بعد خروجهم، خيم الصمت للحظات.. وشاهدت صورة كورد في الزجاج يقف محدقاً بها. فاستدارت لتلتقي عيونهما.

www.liilas.com

فابتسم لها ابتسامة ساخرة:

- آسف مايسي. إن ما خططته كان أكثر تحفظاً.

فجف حلقها، ووجدت صعوبة في النظر إليه:

- أرجوك.. لا يهم. لكنني لا أفهم.. كيف حدث ذلك؟ ثمة خطأ في البرقية، أيمكن أن يكون الحجز لأشخاص آخرين!

فهز رأسه:

- أوه.. لا.. ليس هناك أي خطأ، أعلم من هو المسؤول عن هذا.

حدقت به بعينين واسعتين:

- ليو؟.. ولماذا؟

- لأسباب عديدة، ومن الأفضل أن لا نتحدث عنها.

- لكن..

- أرجوكِ مايسي. ليو يحب إثارة المشاكل.. فلا تأبهي.. أكان هناك ما أساءكِ اليوم مايسي؟

ردت بسرعة وهي تتفحص تعابير وجهه.

- لا.. لا.. أبداً. الكنيسة والمراسم.. كل شيء كان جميلاً... لقد أزعجت نفسك كثيراً..

فابتسم:

- قلت لك إنني أحب الطقوس.

أرادت أن تسأله: حتى الطقوس التي لا معنى لها؟ أو لا تحمل أي نوع من الحقيقة.

ما من فائدة في طرح هذا الموضوع الآن.. لكنه أعجبها كل ما مر عليها اليوم. الجدال والمرارة سيزيدان الأمر سوءاً. وبدأت تحس بشيء آخر يعتمل في قلبها، تريد أن تشرح له ما أحست في

الكنيسة، عن الذكريات، عن الماضي الذي يحضرها بقوة كلما كان قربها. وكادت أن تتكلم، لكنها لاحظت أن وجهه تغير، وقال:

- يدك.. ماذا حدث ليدك؟

فسحبت يدها بسرعة وراء ظهرها:

- لا بأس بها.

لكنه أعاد الامساك بها.

- كيف حدث هذا؟ إنها مليئة بالكدمات..

- أنت فعلت هذا.

- أنا؟

- عندما كنا نمسك السكين لقطع قالب الحلوى.. لكنها بخير.. حقاً.. ولا تؤلمني..

وأمسكت ذكرى قوته السريعة بقلبها.. وأحست أن معرفتهما بهذه القوة تفتح شيئاً ما بينهما كأنه تجويف مظلم ضخم. فأحست نفسها تغرق وتغرق فيه.. لكنه ضعيف أيضاً.. إنها تحس بهذا الآن، في عينيه، في اللطف المفاجيء، والقلق الذي لفهما. وسمعته يقول:

- مايسي.. أنا..

وتنهدت بعمق قبل أن يغرقا في عناق طويل. وفي اللحظة التالية كانت بين ذراعيه، وأحست بالرغبة تتفجر في داخلها. فالتصقت به مغمضة العينين لا تسمع سوى نبضات قلبها وقلب الرجل الذي أصبح زوجها. وأغمضت عينيها، ولم تعد ترى شيئاً أو تعرف شيئاً، أو تعي أي شيء ما عدا احتضانه لها وضغط جسده عليها. كل إحساساتها تجمعت في إحساس واحد. فسمعت من خلال جسدها ضربات قلبها، وشاهدته.. هذا الرجل الذي أصبح

www.rewity.com

زوجها.. من خلال عينين مغمضتين، شاهدت أعماق نفسه، وأحست أنهما شخص واحد.. ما وراء التساؤل، ما وراء القلق.

لم يدم ذلك طويلاً لأن كورد تراجع عنها ووقفا قريبين، أعينهما مثبتة في بعضها، يربط بينهما ما هو أبعد من الكلام.. وكانت ترتعش فلم تقدر على الكلام، وتوقعت منه أن يعاود التقرب منها فلم يفعل.. فقط أمسك بيدها التي تحمل خاتم الزواج وقبلها.. فأحست بالدموع تحرق عينيها، وأن لديها الكثير لكي تقوله.. لكنه ترك يدها، وتراجع، وكأنه يتعمد قطع ما كان بينهما منذ لحظات:

- مايسي.. أنا آسف جداً.

فنظرت الى يديها، مخفية وجهها عن عينيه:

- أنا.. زوجتك.

وعلى الفور وجدت نفسها نادمة لأنها لم تكن تريد قول ذلك، وساد صمت قصير قطعه قائلاً:

- أجل.. أنت زوجتي، كما اتفقنا واشترطتِ أنتِ بكل دقة. وليس في نيتي أن ادفعك الى أكثر من ذلك خاصة في الظروف الحاضرة. ولا تظني أنني خططت لكل ما حصل دون علمك.

- أعلم.. ولا أظن بك سوءاً.

- إذن أنت جديرة بالثقة والاطراء.

إطراء حمل لهجة مغايرة لعله الإتهام.. فاستدارت مايسي بائسة، وتقدمت نحو النافذة، حيث رأت أضواء المدينة المتلألئة المتراصة أمامها، أسندت رأسها على الزجاج. فأحست بالإرهاق والتعب.. وتمنت لو كانت وحدها كي تستطيع النوم أو البكاء بحرية.. فتسرب القلق الى قلبها لكنها بقيت صامتة..

- اخبريني.. هل أنت من دعا ليو الى الحفلة اليوم؟ هل قلت له الى أين نحن مسافران؟

فاجأها السؤال فواجهته بعنف واستنكار:

- دعوته؟ لا! لم أشاهد ليو، ولم أتكلم معه.. منذ سنوات.

- حتى هذا اليوم؟ لكنك كنت سريعة في الكلام معه.

- ماذا؟

فهز كتفيه قائلاً وهو يتجه الى غرفة الجلوس:

- لا يهم.. أتودين شيئاً تأكلينه؟

- لست جائعة.. أريد النوم.

فرد بصوت بارد:

- افعلي ما شئت.

ترددت مايسي قليلاً فضحك:

- ستكونين بأمان.. لن أمسك فلا حاجة لك للقلق.

- لكن أين تنام أنت؟

- لا أنوي النوم.. تصبحين على خير مايسي.

ولم يضف شيئاً ودخل غرفة الجلوس وأقفل الباب. في الفراش اغمضت عينيها.. إنها ليلة عرسها، وأحست بالدموع الساخنة على خدها الباود، تتدفق من تحت جفنيها المقفلين. لسوف يحطمها كورد.. إنها مسألة وقت.. وغطت في النوم.

حلمت بفنكوفر، بذلك اليوم المشمس والسماء الزرقاء الصافية.. كانا في المراعي.. خلف المنزل، حيث الحقل مفروش بآلاف الزهور الصغيرة. كان ذلك في فصل الصيف، حيث يستطيع المرء أن يرى اللسان الطويل الداخل في البحر حيث تتدافع الأمواج الى أعلى الصخور عند ارتطامها بها.. كانا وحدهما.. لكن طالما

www.rewity.com

كانا كذلك حتى بوجود الآخرين.. عيناهما وتفكيرهما كانا يعزلانهما عن الجميع.

أحست بومها، في ذلك الصيف أن حياتها بدأت لتوها.. وامتدت أمامها، كما نور الشمس الذهبية اللامعة.. وأحست أن مستقبلها هو كورد.. إنها الآن تستلقي على ظهرها فوق العشب غير بعيد عن الخراف التي ترعى من حولهما، تحس بالدفء، دفء بعد ظهر يوم صيفي فوق جفنيها، كورد كان يداعب شعرها، فوق العشب، والزهور و«الباقية» ذات الزهور الزرقاء... قال لها ذلك اليوم الأخير من سعادتهما القديمة:

- رائحة شعرك كرائحة الخلنج.

لم تدرِ كيف استيقظت.. لكن نهاية الحلم كانت قاسية فبقيت تائهة للحظات مابين الواقع والحلم.. وحين لامست واقعها أحست بالسعادة تقفز هاربة من قلبها وكأنها الرمال المتزلقة من بين الأصابع.

تمطت، وتحسست السرير من حولها وكانت الغرفة مازالت مظلمة إلا من نور ضئيل تسرب من النافذة يبشر بنهار جديد..

لقد تزوجت ذكرى.. قديماً بدا لها كورد قريب جداً منها حتى أن كلاً منهما كان يعرف نوايا الآخر دون كلام. ولم يخطر ببالها قبلاً أن تتساءل عن نوعية هذا التفاهم، ولا أن تصرف النظر عنه أو تفكر كم كانت يافعة، أو لتكتشف أن الكلمات لا يمكن لها أن تمحيَ الحقيقة التي أحست بها.. إنه الحب الأول.. حب المراهقة.. لقد استعادت ذكرى كل شيء الآن.. لقد أحبت كورد... لكنه الآن رجل آخر: بارد متحفظ، لا يمكنها الاقتراب منه، ولا فهم أعماقه.

وتنهدت.. لا فائدة من التفكير بالماضي. لا فائدة من ترك الأمور لتأخذ طريقها كما جرى ليلة أمس.. ولا فائدة من الإحساس بالمرارة والكراهية. إنهما هنا، وباريس جميلة! وأحست بثورة من التفاؤل لهذه الفكرة.. فهي، كما أدركت متدهشة، لا تريد أن تكون في أي مكان آخر. فهذا اليوم، وهذه المدينة الساحرة بانتظارها في الخارج.. فازداد خفقان قلبها.

سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، ودخلت خادمة الى الغرفة تحمل صينية.

- بونجور مدام!

وضعت الصينية على الطاولة، لتدرك مايسي على الفور أنها جائعة.. الفطور لشخص واحد. فشكرت الخادمة التي انسحبت مبتسمة. وتناولت مايسي الصينية لتضعها أمامها وتبدأ بالأكل وهي ترمق باب غرفة الجلوس قلقة.. ما من صوت صادر من هناك.. فجأة أحست بالندم العميق.. لقد نامت، حلمت، واستيقظت نشيطة، ثم تناولت الفطور.. فماذا عن كورد؟

في تلك اللحظة فتح الباب، ودخل. حدقت به بارتباك، وراحت تتدثر بالأغطية بحركة عفوية فابتسم وتقدم في الغرفة.. بدا منتعشاً، حليقاً، نظيفاً، أنيق الملبس. يحمل بين ذراعيه الكثير من العلب التي رماها فوق الكرسي دون تردد وكأنه يقوم بعمل بطولي، أقفل الباب وتقدم منها وانحنى ليقبّل رأسها مستوضحاً:

- هل نمت جيداً؟ أنا استيقظت باكراً.

تناول بعض القهوة بابتهاج، ثم جلس الى حافة السرير متناسياً ما حدث بينهما ليلة أمس. نظرت إليه، شيء ما في عينيه جعلها تبتسم:

www.rewity.com

- أظنني نمت أفضل منك.. ماذا فعلت؟ أين نمت؟ على الأرض أم على أحد المقاعد الطويلة.

فضحك:

- على المقعد. لكنه لم يكن مريحاً. وأنت يبدو أنك نمت دون انزعاج.

احمر وجهها، وقد تذكرت حلمها، فابتسم متابعاً:

- لقد راقبتك هذا الصباح.. دخلت الى الحمام وغيرت ملابسي، ولم تنتبهي.. نظرت إليك مدة طويلة ولم تتحركي.

- هذا أمر غير منصف!

- أبداً.. كنت تبدين جميلة.

أشاحت بنظرها عنه بسرعة. ثم ترددت قبل أن تقول:

- إذا لم يستطيعوا اعطائنا غير هذا الجناح.. فلا يمكنك قضاء الليل في المقعد المخصص للجلوس.. وليس للنوم.

فرفع حاجبيه ساخراً:

- أتعنين أنه يمكنني الانضمام إليك في الفراش. يجب أن نضع شيئاً يفصل بيننا، كما كان يفعل الفرسان فيما مضى. أليس هذا هو الحل؟ أم نكتفي بالوسائد؟ طبعاً هو سرير واسع.. سنجد حلاً دون شك.

ووضع فنجان القهوة فوق الصينية وهو..

- والآن.. أنت ترين ليس الخروج على رأيس كما قلت بالأمس.. إذا أسرعت الشعر سيكون اليوم جميلاً، بالرغم من برودته.. هل أنت سعيدة؟

فابتسمت.

- جولة سياحية؟ من الواضح أنك تعرف المدينة جيداً.

- بما يكفي.. لطالما كنت هنا بمفردي.. وسأستمتع بوجود شخص آخر لأطلعه على معالمها.

- ما رأيك بعد نصف ساعة؟

فابتسم وامتدار نحو الباب، ثم توقف:

- على فكرة.. كم حقيبة معك؟

- اثنتان، وواحدة صغيرة.

- هذا ما ظننته.. يبدو أنهم لم يرسلوا لنا سوى واحدة. لقد اتصلت بالمطار، فلا تقلقي، سيجدونها لك، هذا ما يحدث دائماً. أكان فيها أشياء ثمينة؟

- لا.. بل ملابس قديمة.. لا يهم.

- حسناً.. فكرت أنك قد تحتاجين شيئاً، فخرجت واشتريت لك بعض الأغراض، قد لا تهمك.. لكنها هناك.

قبل أن ترد، فتح الباب وخرج. فجأة أحست بإشارة مجنونة عليه، وكأنها الطفل الذي كان.. لم يقدم لها أحد من قبل مثل هذه الهدايا.. بأصابع مرتجفة فتحت العلب، أزاحت الأوراق الناعمة التي تغلفها، جلست على عقبيها.. مذهولة.. يبدو أن كورد اختار لها الأشياء التي كانت ستختارها بنفسها لو أنها كانت تملك المال الكافي لشراء مثلها.. علبة مليئة بالقمصان الحريرية، وأخرى من أفخر الكنزات، وأغلى أنواع الكشمير. وحقيبة يد من أفخر الجلود. وعلبة أخرى للملابس الداخلية الرائعة المطرزة تطريزاً يدوياً، وأخيراً فستاناً من أجمل الفساتين عاجي اللون بالإضافة الى سترة أجمل منه.

حدقت مايسي بكل ما أمامها غير مصدقة.. كان هناك علبة رقيقة لا تزال مقفلة، مصنوعة من الجلد.. وبيد خائفة مرتجفة،

www.liilah.com

فتحتها، وحبست أنفاسها. في الداخل، وفوق مخمل أسود عقد ذهبي من أجمل ما وقعت عيناها عليه.. كان قديم الطراز، من الكهرمان المثبت الى الذهب، والكهرمان هو لون عينيها. وضعته حول جيدها بأصابع مرتجفة، ونظرت في المرآة، فرأت الأحجار الكريمة تلتف حول عنقها وتضفي عليها جمالاً غامضاً، لا مثيل له.

وأسرعت بتهور تفتش بين العلب.. لا بد أن كورد قد وضع فيها رسالة. لا بد أن يكون هناك مذكرة ما، بطاقة ما.. أي شيء. لكنها لم تجد شيئاً.. ثم.. وجدتها.. شاهدتها داخل العلبة الجلدية الصغيرة التي كانت تحوي العقد، بطاقة صغيرة بسيطة تقول: الى زوجتي.. من كورد.

لا شيء غيره.. دون تاريخ، دون عواطف، دون أثر أو كلمة.. هذا كل شيء.

بسرعة، انحنت لتلتقط الفستان الكريمي اللون وترتديه، ثم وضعت فوقه السترة المناسبة له. لابد أن كل هذا كلفه الكثير. يجب عليها أن ترفضها وأن لا ترتديها، لكنها استسلمت لإغرائها مكتشفة ضعفها الذي طالما أنكرته على نفسها ومن جهة ثانية خافت أن يغضب كورد إن هي رفضت هداياه.

رقصت عيناها فرحاً حين رأت صورتها في المرآة، فضحكت مداعبة العقد الكهرماني المتلألىء أمام النور، فتمرتها سعادة عارمة وسارعت تصفق الباب خلفها وتنزل السلم، وحذاءها يطقطق على الرخام الأبيض.

فوجىء بها. فوقف حيث كان يجلس خارج المقهى. لاحظت محاولته إخفاء مشاعره، إلا أن السعادة كانت تضيء عينيه. لكنه لم

يقل شيئاً، بل جذب لها الكرسي لتجلس، وأمسك بيدها، ثم التفت يستدعي الساقي.

- قهوة؟

فهزت رأسها.. ثم جمعت شجاعتها ووضعت يدها فوق يده.

- كورد.. لم أحظ بهدايا جميلة رائعة مثل هذه في حياتي... أشكرك.

- أرجوك.. إنها لا شيء. أنا سعيد أنها أعجبتك.. إنها..

وصمت برهة وأطلق لعينيه العنان متأملاً جيدها الذي يطوقه العقد، ثم شفتيها، فعينيها وأكمل:

- إنها رائعة عليك.

فابتسمت رغم جفاف الإطراء وعيناها ترقصان.

- وهي تناسب مقاسي كما ترى.. تناسبني تماماً.

وأخفضت عينيها وأكملت بحياء:

- كل شيء.

فتقوست شفتاه بابتسامة.. فسألته ملتوية:

- كيف عرفت مقاسي؟.. معظم الرجال تنقصهم الخبرة في العشاقات.. وخاصة..

فمال نحوها، وعيناه تسخران منها بكسل:

- حسناً.. لدي ذاكرة ممتازة. وفي المحل كانت البائعة بنفس مقاسك..

وجال بنظره عمداً نحو صدرها ثم خصرها النحيل وتابع بخبث:

- ... وحجمك.. إنها فتاة جذابة..

- أوه.. حقاً؟

www.rewity.com

فضحك.

- لا.. في الحقيقة. كانت بشعة وفي الستين من عمرها. لكن عندما شرحت لها الوضع تفهمته جيداً، وساعدتني. لقد وصفتك لها.. بتفصيل لا بأس به.. وهذه هي النتيجة. والآن.. للأسف لدي عمل أقوم به ونحن هنا. لكن في الأسبوع المقبل، لدينا عطلة يومين، وأنا تحت أمرك. ماذا تريدين مشاهدته؟ المتاحف، معارض الفن، الكاتدرائيات، برج إيفل، قوس النصر، الأسواق، الليدو..؟

فضحكت وأجابت بسعادة:

- أحب أن أتجول في المدينة، أتفرج حباً بالاكتشاف... ثم أود الذهاب الى مونمارتر والى أكاديمية الفنون.. هناك رسومات نصحني مايك أن أتفرج عليها.

- حسناً.. موافق، مشير، ونرى أين تقودنا أقدامنا. بعدها نتناول الغداء.

ظلا جالسين في المقهى يشربان القهوة ويتحدثان حتى أشرقت الشمس لتبدد برودة الصباح. فنظرت مايسي حولها بابتهاج.. ولم تجد الكثير من الناس في الساحة أمامهما، فالوقت مبكر لوجود الكثير من السائحين.

وأمسك بيدها ليقودها عبر الشوارع المشرقة بأشعة الشمس.. وسارا جنباً الى جنب متشابكي الأيدي، لساعات طويلة لم تحس مايسي فيها بأي تعب.. وكان كورد الأفضل والأكثر تفهماً من أي دليل سياحي في العالم. في طريقهما كان يشير الى المزيد من الأماكن الشهيرة والأبنية الأثرية، والنصب التذكارية، والقصور الملكية، يسرد عليها بعضاً من تاريخها. لكنه لم يحجز حريتها،

تركها تستكشف ما تشاء، في الشوارع الواسعة والحواري الضيقة على قدم المساواة.

عند الظهر رحلا الى حي مونمارتر الشهير، فتوجها ليتعرفا على الفنانين الذين يرسمون في الشوارع، المكان الذي حدثها عنه مايك، حيث وقفت تحدق في كل شيء لفترة طويلة.. ولكن ما لفت نظرها أكثر كان لوحة رائعة لسيدة تحمل طفلها تنظر إليه نظرة جعلت قلب مايسي يرتجف، وعلى وجهها دلائل الاهتمام والقلق... لاحظ كورد هذا وقال:

- أظن أنني عرفت لماذا تهتمين بهذه الصورة.

- لقد حدثني عنها مايك، وأكد على ضرورة تأملها لتستفيد منها النساء خاصة.

- ربما..

وأشاح نظره عنها محافظاً على تحفظه من جديد، ولحقت به لكنه لم يكن ينظر الى اللوحات من حوله.. بعد قليل، أحست أن مزاجه تغير من جديد، فأمسكها من مرفقها ليقودها بسرعة عبر شوارع صغيرة جانبية لترى نفسها فجأة في ساحة واسعة تلتقي فيها وتتفرّع عدة شوارع، وفي ظل كنيسة مونمارتر تمكنا من رؤية السين والتلة التي يقع عليها فندقهما. والى الجهة الأخرى دخلا مطعماً صغيراً جلسا فيه الى طاولة تحت شجرة. فقالت له ممازحة:

- أنت تعرف باريس حق المعرفة.

- أبداً.. لكن عملي غالباً ما يأتي بي الى هنا.

فتمطت، وقالت منحنية دفء الشمس على وجهها:

- أليس الطقس جميلاً؟ إنه كطقس الربيع، كان الطقس بارداً عندما غادرنا كندا.

www.rewity.com

- لكنه الربيع هنا.. أو يكاد. والطقس سيبدأ منذ الآن بالتغيّر. بحلول نيسان سيصبح دافئاً...

- لكن نيسان هو أقسى برودة عندنا.

فضحك:

- ليس في فرنسا.

أحضر النادل الطعام اللذيذ. فتناولاه وهما يتحدثان، الى أن طرح سؤالاً:

- هل عملت مع مايك لفترة طويلة؟

- لخمس سنوات.. منزلك قريب من معرضه.. والغريب أننا لم نلتقِ قبل الآن.

- صحيح.. هذا عجيب.. لكنني غالباً ما أكون مسافراً... ولدينا الكثير لنعوض عنه كما أظن.

أحست بالخجل فقالت مرتبكة:

- ليس لدي الكثير لأخبرك عنه.

- أوه.. أنا متأكد أن لديك الكثير.. إنها عشر سنوات.. أيز كنت خلالها يا مايسي، ماذا حدث لك خلالها؟

- القليل جداً.. بعد وفاة أمي... عشنا مع عمتي كارلا لبضع سنوات، وسافر أبي الى الشرق الأوسط لفترة، ثم عاد الى إيطاليا، ولم نعد نراه كثيراً... تركت المدرسة، تدربت على السكرتاريا.. ثم توفيت عمتي وتركت لي القليل من المال. فاشتريت الشقة التي نسكن فيها وسكنت آيفال معي، بعدها عملت مع مايك في معرضه. وهذا كل شيء.

- ألم تفكري مطلقاً بالزواج؟

- لا.

ساد صمت قصير، وتراجع في كرسيه الى الوراء، واحتسى قليلاً من قهوته، ثم قال:

- تولت مؤسسة أبي رعاية أموالك.. المال الذي تركته لك عمتك أليس كذلك؟

فهزت رأسها:

- لطالما كان والدك كريماً جداً ولطيفاً معنا، أنا وآيفال.

تهدج صوتها لعلمها أنها بدأت تطرق موضوعاً خطراً، لكنه لم يلاحظ هذا، نظرت الى وجهه بقلق، وقالت:

- آسفة جداً لما حصل لوالدك.. أهو.. بخير الآن؟

فرد بصراحة دون تأثر:

- لن يعيش طويلاً.. إنها الذبحة الصدرية.. والأطباء حددوا له فترة ستة أشهر.

- أوه.. كورد. كم أنا آسفة.

أمسكت بذراعه، لكنه هز كتفيه:

- هكذا أفضل. منذ وفاة أمي، لم يعد يرغب في الحياة، على ما أعتقد، لقد تصالحا فيما بعد كما تعلمين.

- أجل.. عرفت هذا. لقد أخبرتني عمتي كارلا قبل أن تموت. هل كانا سعيدين؟

- من؟

- والداك.. قبل أن يلتقي...

- تعنين قبل أن يلتقي أبي بأمك؟

صمت قليلاً ثم تنهد، وأكمل بصوت تلاشت الحدة منه:

- كنت صغيراً، لا أفهم الأشياء. إلا إذا كان هناك بعض الثغرات، داخل الزواج.. إضافة الى أن أمك لم تكن تقاوم..

كانت جذابة لدرجة تفطر القلوب. وهذا ما جعلها لا تقاوم، لشدة جمالها. والجمال دائماً يكون خطيراً، ووالدي كان من ألطف الرجال وأرقهم إحساساً.. ولا أظن أنه استطاع مقاومتها.

نظرت إليه بصمت، تعرف أن عليها الدفاع عن أمها، لكن ما الفائدة.. كل ما قاله كورد صحيح. وعادت الى الإطراق.. فأكمل:

- الغريب كيف أن زوجان مثل والديك أنجبا فتاة مثلك.

- أنا لست كأي منهما كورد!

مد يده يمررها على شعرها الكثيف، حيث أخذ يداعبها.. ثم قال بخفة:

- ألست مثلهما مايسي.. أتساءل؟

وعرفت تماماً ما يفكر به، لكن الكبرياء منعها من الإجابة. وقفت صامتة فدفع كورد الفاتورة.. وانطلقا مجدداً باتجاه الفندق. ما إن وصلاه حتى كانت أعصابها على وشك الانهيار.. وأحست بأنها إذا لم تتكلم على الفور، أو لم تشرح موقفها فستجن. إنها لا تحتمل أن يعاملها بهذه الطريقة.. تارة تكون في قمة السعادة، قريبة منه.. وتارة؟ لماذا تزوجها.. لماذا؟ لماذا لا يتركها وشأنها؟ لماذا يستمر في تعنيفها؟

في المصعد وقف ملتصقاً بها.. أحست بأنفاسه ناعمة على بشرتها.. دون أن يلمسها أحست أنه يرسل لها كلمات أبعد من أية لغة.. نظرت الى عينيه المظلمتين.. فأدركت أنه بالرغم مما يقول، ويفكر على نفسه.. يرغب بها.. يريدها، ويلح عليه.. فتحت أبواب المصعد، فأمسك بذراعها وجذبها خلفه بسرعة، عبر الممر، فتح الباب، أدخلها، أقفل الباب، ودفع بالمزلاج. أخذت

نبضاتها تتسارع، وتصاعدت في نفسها مشاعر ملحة لم تقو على مقاومتها.

جذبها بخشونة ليحتضنها بين ذراعيه، فحبست أنفاسها بصرخة حادة وهي تحس باندحاق جسدها عليه، ثم قال لها بأنفاس متقطعة:

- والآن مايسي.. لا تقولي شيئاً.. يجب أن يتم بيننا هذا...

☆☆☆☆

www.rewity.com

٧ ـ شيطان الظلام

استفاقت مايسي بينما كورد يحتضنها ويغط في نوم عميق... فبقيت مستلقية هكذا لفترة، تسمع من بعيد الأصوات المتناهية عبر النوافذ.. لقد حلّ المساء.. نظرت الى وجه كورد، بعد أن نزع النوم عنه كل قناع وأحست بقلبها يدور.. لقد أحبته، ولا زالت تحبه، وستبقى تحبه دوماً.. أدركت هذه الحقيقة الجميلة، وبدت رقيقة في أعماقها، فأعطتها دافعاً للفرح.. كانت تعلم أنه لا يحبها، وذلك ليس كافياً لكي تعاني وتتألم لأنها تتقبله دون تردد.. لقد حصلت الآن على ما تريد، وهي تحبه، وهذا يكفيها..

كان لا يزال مستغرقاً في نوم عميق عندما تسللت من حيث كانت تستلقي فوق السرير فاستفاق وأمسك يدها متأملاً وجهها... فابتسمت له والفرح السري يملأ قلبها.. ثم همس:

ـ أريدك مايسي.. يا حبيبتي!

وجذبها الى الفراش مرة أخرى. فيما بعد قال لها:

ـ أتودين الخروج للعشاء؟

ـ لا كورد.

ـ ولا أنا.. سأطلب العشاء الى الغرفة.

ـ نعم كورد.

ـ هل أنت دائماً مطيعة هكذا؟

ـ نعم كورد.

ـ سأجرب هذه الطاعة فيما بعد.. لقد أصبحت زوجتي مايسي.. فقوليها لي.. أريد سماعها منك.

ـ أنا زوجتك كورد.

وكادت تقول له أكثر، لكنها لم تفعل.. بل أبقت سرها لنفسها وهي تحتضنه.. فهكذا أفضل، أكثر أمناً، وأحست بالراحة في كتمانها.

في الصباح، تناولا الفطور معاً. فهو الآن لا يطيق ابتعادها لحظة عن ناظريه. ثم وقفت تراقبه وهو يرتدي ملابسه، فأخافها قليلاً لأنه عاد الآن كما كانت تشاهده من قبل: مرعباً، متحفظاً، بعيداً، ورجلاً غير الذي كان ينام بقربها كل الليل. لكنها قاومت هذه المشاعر، لأنها سخيفة.

تقدم منها كورد وهي تنتظره ليجذبها نحوه ويقبلها. وكأنما أحس بخوفها، فاحتضنها فأحست بالأمان من جديد، وسيبقى حلماً جميلاً ذلك العالم السري الذي عاشاه ليلاً! بينما هو يرتدي سترته، رن جرس الهاتف، فقال متبرماً:

ـ انزلي أنت.. لن أتأخر، وسألقاك في البهو.

في البهو، كانت الشمس تتدفق من النوافذ، إنه يوم رائع.

ـ مدام باكلير.

ولم تستدر فوراً، فهي بعد لم تألف الاسم، لكنها رأت المدير يتقدم نحوها مبتسماً وهو ينحني بالتحية. فابتسمت له قائلة:

ـ نهار جميل أليس كذلك؟

ـ بل رائع سيدتي.. أرجوك، لدي برقية لك.

www.rewity.com

- لي أنا؟ إنها لكورد دون شك...

- لا سيدتي.. إنها لك.

قدم البرقية لها على طبق من فضة فأخذتها منه... كانت من والدها.. فحدقت بها مذهولة.. كيف عرف مكانها؟ حدقت بالكلمات: «أحتاج الى مال بإلحاح. ألا تستطيعين المساعدة؟ أيمكن أن أقابلك في باريس؟.. والدك».

أحست فجأة بالغضب.. لقد أعادت المال الذي أخذته آبيغال الى كورد، قبل الزواج.. فأخذه منها ببرود وصمت. ولم يبقَ معها سوى بضع مئات، معظمها معها الآن على شكل شيكات سياحية.. استدارت الى المدير:

- أيمكنك تحويل بعض المال الى روما.. اليوم؟

- طبعاً مدام.. من دواعي سروري.

بسرعة، أخرجت الشيكات لتوقعها وتعطيها للمدير، وكتبت عنوان مصرف والدها في روما على بطاقة صغيرة.

- أرجوك. يجب أن ترسلها فوراً.. مع هذه البرقية المستعجلة.

أخذت عن طاولة مكتب الاستعلامات ورقة مخصصة للبرقيات وكتبت: «المال سيصل اليوم.. وليس لدي المزيد. أرجوك أن لا تأتِ الى باريس.. مايسي».

انحنى لها المدير مبتسماً ثم اختفى.. واختفى المال معه.. نفذ كل ما تبقى من إرثها. أحست وكأنها تخلصت من الماضي، وحررت نفسها. عندما انضم إليها كورد، كانت تقف في الخارج تحت أشعة الشمس، وفرحتها تماثل سعادتها. قال لها:

- نحن مدعوان الى حفلة. صديقة قديمة لي كنت محامياً

لزوجها منذ سنوات.. إنها الأميرة «دوقان»، لديها قصر على نهر المارن خارج باريس، وتريد مقابلة زوجتي.. إنها عجوز الآن، لكن قوية، وقصرها مذهل، وأحب أن تريه.

فابتسمت له:

- أحب أن أذهب معك.. متى؟

- الليلة.. ولكنها حفلة تنكرية في الثياب الفرنسية التقليدية. ولن تبدأ إلا في وقت متأخر..

- وكيف عرفت الأميرة بوجودنا هنا؟

- أوه.. لست أدري ربما عبر المكتب الذي أعمل به هنا.

انطلقت بهما السيارة المستأجرة باتجاه فرساي.. ماأن وصلاها حتى كانت الساعة قد قاربت الظهر.. وبدا لهما قصرها الشهير من بعيد هادئاً، لامع تحت ضوء الشمس الساطع...

سارا بين حدائق القصر يتمتعان بما حولهما بصمت... الى أن وصلا كاندرائية القصر.. من الداخل كانت باردة مظللة.. جدرانها وأعمدتها الرخامية الرمادية تبدو دائماً كأنها مغسولة بالماء على مر العصور...

المكان كله حزين ومتجهم.. وأحست بالسرور عندما خرجا يتمتعان بنور الشمس. أخذها كورد الى مطعم قريب. جلسا الى طاولة خارج المطعم.. تطل على الحدائق، ومن بعيد بدا لهما قصر لوتريانو الكبير والصغير حيث اعتقل الثوار ماري أنطوانيت

الشهيرة، ليسلموا رأسها الى المقصلة.. سمعته بعد قليل يقول لها بنعومة:

- هل كنت تظنين أن هذا سيحدث لنا مايسي؟

التفتت إليه، بعد أن فهمت تماماً ما يعنيه.. ولم تستطع أن تكذب:

- إنني دائماً.. كنت أعرف أن هذا قد يحدث.

- أنا كذلك.

بدا لها أن ما بينهما دقيق جداً ويجب أن لا تثقل عليه.. فلو قالت له حقيقة حبها له، فقد ينفر منها.. ومن الأفضل ترك الأمر على ما هو عليه. وقال لها:

- جئت الى هنا من قبل.. منذ خمس سنوات، وتناولت الغداء على نفس هذه الطاولة، وكنت وحدي.. وفكرت بك مايسي.

تنفست بحدة، لكنها لم تقل شيئاً.. ثم أكمل:

- لكن ذلك لم يكن غريباً. فطالما فكرت بك، طوال عشر سنوات.

- فكرت بي بلطف أم بحقد؟

- كنت أكرهك أحياناً. إذا كان هذا قصدك.

أحست بالألم.. فأدارت وجهها.. فسألها:

- ألم تحاولي مطلقاً الاتصال بي خلال العشر سنوات هذه؟

كان هذا سؤالاً يحمل شيئاً من الإتهام، والتفت عيناهما رغماً عنها تتذكر الرسائل التي كتبتها ثم مزقتها.. وكم مرة هرعت الى الهاتف وهي تجلس وحدها محاولة الاتصال به، ثم تراجعت. لكنها ردت:

- لا.

- هل فكرت مرة بفانكوفر..؟ مايسي لا تنظري الى البعيد.. أجيبي على سؤالي، اللعنة عليك!

- لقد فكرت.. ويجب أن تعرف أنني فكرت.

أحست بعينيها غارقتان بالدموع، لكن وجهه ازداد صلابة:

- فكرتِ بليو.. كما أظن.

حدقت به بحيرة وارتياك:

- ليو؟ كورد، أنا لم أفعل هذا، ولماذا أفكر به؟

- كنت أعتقد.

حدقت به مذهولة.. لماذا يستحوذ ليو على أفكاره؟ لماذا يذكره الآن.. وهنا سعيدان؟

- لست أفهمك.

- بل تفهمين جيداً، إلا إذا كنت مصابة بفقدان الذاكرة. أنت تعرفين تماماً ما حدث!

بدا صوتها غريباً لها وهي تقول له:

- كورد أرجوك. لا أريد التفكير بكل هذا.. أرجوك. وإذا أردت التفكير، فسأفكر بك..

أمسك يدها بشدة، ثم وقف قائلاً:

- سنعود الآن.

أمسك بمرفقها بعد دفع الحساب، متوجهين نحو السيارة التي كانت تنتظرهما.. وانطلقت عائدة الى باريس.. يده تمسك بيدها، تكاد تحطمها، فقالت بصوت هامس تحاول تخليص يدها منه.

- أرجوك كورد، لا تمسك بي هكذا.. اتركني.

- لن أفعل! اللعنة! إذا لم تتكلمي فسأبلغ الحقيقة بطريقة أخرى!

www.liilas.com

عندما وصلا الفندق كانت الشمس لا تزال مرتفعة لكن الأفق كان متجهماً بغيوم رمادية، وأنوار البرق تلمع من بعيد. أخذ كورد يجرها عبر الهول صعوداً على السلم دون انتظار للمصعد الى أن بلغا غرفتهما.. حيث توقف فقط كي يقفل الباب بالمزلاج. وأخذ يدفعها بخشونة نحو السرير. أحست بعدها به يدفعها الى الخلف، وأصابعه تمسك بشعرها، فساورت ثغرز أظافرها في لحمه، وسمعته يصيح ألماً وغضباً، لكنه سارع الى الامساك بيديها ليرفعهما فوق رأسها وهي مستلقية على السرير كي لا تعود الى خدشه. ثم سمعته يتمتم:

- سأستخرج الحقيقة منك هكذا!

وبدأت تقاومه، وتقاوم الرغبة التي تصاعدت فيها. كان يتصرف معها كالحيوان. فكل حركاته كانت شرسة، ولم تستطع أن تقاومه فتعلقت به ملتزمة الصمت، ولم يدم حاله طويلاً.. فجأة، ابتعد عنها، ورقد صامتاً، يحدق في السقف.. بينما أخذت تراقبه بهدوء، دون تراجع أو ثورة أو حقد، بل برقة لم تعهدها في نفسها كانت تتحرك في أعماق قلبها.

فجأة تحرك، مستديراً نحوها، وقال بصوت منخفض متوتر وكأنه يكره نفسه:

- مايسي.. هذا لم يحدث لي من قبل.. سامحيني..

- لا شيء يستدعي طلب السماح. كنت غاضباً.. وغضبت بي..

- أنا أرغب بكِ دوماً. اللعنة عليكِ! ماذا فعلتِ بي؟ فرغبتي بكِ تتجدد باستمرار، إنه نوع من السحر طغى على كل مشاعري.

- وأنا كذلك أرغب بك. حتى عندما

انحنى يهمس بكلمات لم تسمعها من وجل قبله وأكمل:

- حتى عندما.. شيء ما يضللني، يراودني.. ليس في جسدك بل في تفكيرك، في مشاعرك.. وهذا ما يدفعني الى الجنون.. مايسي.. لماذا تزوجتني؟

في هذا الوقت أصبح من الصعب عليها أن لا تقول له.. لكنها ابتسمت له وقالت ممازحة بقصد الإزعاج:

- لقد عقدنا صفقة!

- لكننا لم نلتزم بشروطها.

- لا.. لم نفعل.

- لكننا ما كنا لنستطيع الالتزام بها.. أليس كذلك مايسي؟

- كان يمكنك الالتزام.

- كاذبة.

جذبها الى صدره مجدداً.. وكان الظلام قد عمر الغرفة إلا من نور خفيف تسلل من خلف الستائر.. فلم تعد تدري إذا كان الوقت ليلاً أم نهاراً. كل ما أحست به أن العالم كله قد تقلص ليصبح هذا الفراش.. أحست بأن طعم دمها في العروق أصبح كالعسل.. يفتح بحثٌ لا يمكن لغير كورد أن يجعله حقيقة لمجرد لمسة منه.. وقالت لنفسها: ليس هناك سوى هذا العالم... ولا عالم غيره.

عندما استغرقا في النوم فيما بعد، حلمت بذلك الصيف في فانكوفر.. بعد ظهر ذلك اليوم.. بالشمس، بالعشب، بالقش، بالخلنج.

استيقظا عند الغروب ليستعدا للخروج. أخذها الى أحد المجمعات التجارية حيث تتلألأ الأنوار ويزدحم الناس.. كان

www.rewity.com

الجو لازال يهدد بالعاصفة... وتجولا في المحلات، كي يشتري لها فستاناً، كما قال، لأجل الحفلة:

- إنها حفلة تنكرية بالأزياء الفرنسية ويجب أن اشتري لك فستاناً من هذا النوع.

دخلا محلاً يبيع ملابس أثرية مخملية، كان المخمل فيه من النوع الفاخر ناعم الملمس. فارشدتها البائعة الى طريقة ارتدائه.

- هل أعجبك مايسي؟

- طبعاً إنه جميل.

- جربيه، إذا أعجبك سأشتريه.

في غرفتها في الفندق جربته ثانية، وصاحت ببهجة الأطفال:

- انظر يا كورد! هل رأيت أجمل منه؟

- لا.. أتعلمين لماذا اخترته أسود اللون؟ لأنه يذكرني بك في أول مرة زرتني فيها. أتذكرين؟

- أجل.. وأذكر ما قلته لي. قلت إنني أمثل في الثوب الأسود... وانني أحاول التظاهر...

- بالاحتشام؟ لكنني كنت على حق.. لقد أخفضت عينيك، وبدوتِ شاحبة، ورقيقة، فخدعتني. وللفرنسيين وصف لهذا: «الشيطان بلحمه وشحمه»... وأنت تملكين من هذا قليلاً يا مايسي.

- وأنت كذلك.

فنظر إليها ساخراً:

- صحيح؟

- لقد قلت لي..

فقاطعها ممسكاً بيدها:

- لقد قلت الكثير ذات يوم.. وقريباً، تكملين ما تبقى.. الآن.. حان وقت حفلة الأميرة.

وابتسم.. صوته كان يخلو من الهم، حتى أنه أثر فيها، فنفضت عن نفسها الإحساس الحزين. فأمسك بيدها.

- هيا بنا.. أنت على وشك التمتع بأجمل تجربة فرنسية. سترسل لنا الأميرة سيارتها.. تعالي.. أريد لمجتمع باريس المخملي أن يتعرف على زوجتي!

من بعيد سمعا صوت الموسيقى، ثم خففت السيارة سرعتها لتدخل تحت قنطرة حديدية مشغولة بالزخارف تستند الى عمودين ضخمين وتسير في طريق داخلية، ثم تقف أمام جدران قصر معتمة، الجو يعبق برائحة زهور لم تتعرف على نوعها.. فسارت مع كورد لتصعد السلم العريض.. كانت الريح تشتد حدتها عندما بلغا باب القصر، فأمسك بذراعها ليدخلها الى بهو واسع، ثم الى غرفة ضخمة تكتظ بالناس، مضاءة من الأعلى بعشرات الثريات الكريستالية القديمة.. وجيء لهما بالشراب.. أخذت تنظر حولها لتجد أن أثواب النساء كانت تلمع بالحجارة كأنها المجوهرات: الزمرد، والياقوت، والالماس. واختلطت رائحة الزهور بعطر النساء، وبرزت الأكتاف العارية البيضاء تحت الأثواب الداكنة، وتحت سترات الرجال المرافقين لهن.. هنا مجموعة فرنسيين.. هناك مجموعة أميركيين، وهنالك مجموعة إلمانيين. ترددت مايسي مذهولة أمام هذه الأناقة، فابتسم لها كورد مشجعاً.

- تعالي من هنا.

مرا عبر أبواب زجاجية طويلة الى باحة ضخمة مليئة بالأضواء المعلقة. في إحدى جهاتها فرقة موسيقية تعزف ألحانها، وأزواج

يرقصون في الوسط فوق أرضية خشبية واسعة تعلو الأرض الحجرية. في الجانب الآخر طاولات طويلة، مغطاة بأقمشة بيضاء، مثبتة بأكاليل من الزهور فوقها أشهى المآكل.

ـ كورد!

صوت عميق أجش، تعالى فوق صوت الموسيقى، وتوقف كورد... وقال ببساطة:

ـ إنها الأميرة.

أمسك بذراعها ليقودها الى الأمام، فوقع نظرها على امرأة تقف أمامهما، تتأملها باهتمام.

كانت الأميرة صغيرة الجسم، كبيرة في السن، كبيرة بقدر ما يستطيع المرء أن يصفها.. ربما في السبعين. وجهها كان خليطاً من الخطوط والتجاعيد، أخفيت بعناية وصعوبة بكثير من المساحيق والألوان.. من الواضح أنها كانت جميلة يوماً. كانت تلبس مجوهرات كثيرة لم تر مايسي مثلها على امرأة من قبل: الألماس يتألق على شعرها، في أذنيها وحول عنقها. بدها الرقيعة التي مدتها، كانت مثقلة بالخواتم واحد منها بحجم بيضة العصفور.

ـ أنت مايسي.. كم أنت جميلة.

أمسكت يد مايسي في قبضة ثابتة، ثم جذبتها إليها لتقبل خديها، وأبعدتها قليلاً عنها لتنظر الى وجهها بعينيها السوداوين.

ـ هل أعجبتك؟

سؤال طرحه كورد وهو يقف قربهما مكتف اليدين يراقب ما يجري بسعادة. فضحكت الأميرة لدلعاته:

ـ أعجبتني؟ طبعاً! ولا تزال طفلة، لكنك ستجعل منها امرأة ناضجة.

عادت الى الالتفات نحو مايسي بابتسامة:

ـ إذن.. لقد أخذتِ كورد مني.. وهذا شيء مهم.

مدت يدها نحوه لتجذبه قربهما وتابعت:

ـ أنا أحب هذا الرجل مايسي.. بعد أن أصبحت أرملة، تمنيته لنفسي لكنه اختارك أنت.. وعليّ الآن أن أمضي سنواتي المتبقية وحيدة.. أترين كم أنا وحيدة؟

وأشارت حولها الى جمهرة الموجودين، فابتسمت مايسي، بعد أن أعجبت بالمرأة فجأة، والتي دفعت كورد بعيداً عنهما.

ـ ابتعد عنا الآن كورد.. أود التحدث الى زوجتك.. أوه لا تقلق، سأقول لها كم أنت مثالي، وكم نحن مدينون لك. والآن اذهب.. ودعنا لوحدنا!

نظر كورد الى مايسي نظرة إحباط، لكن كان واضحاً أن الأميرة تعني بكلامها ان مطاع.. باستثناء... مضى على الفور تجاذب الحديث مع مجموعة قريبة، فأمسكت الأميرة يد مايسي وسارت بها قائلة:

ـ أنا أعرفك يا عزيزتي، وأعرف أمك طبعاً.. ألم يقل لك كورد هذا؟ كانت امرأة رائعة! لكنها ليست مثلك مطلقاً. أشعر أنني أعرفك منذ زمن بعيد..

ـ منذ زمن بعيد؟

ـ لقد أسأتِ فهمي... أعرفك من كورد، فنحن أصدقاء منذ مدة طويلة، ثمانية أو عشر سنوات، وربما أكثر. وأنا موضع سره، وأعرف كل شيء عنك. وأنا سعيدة لكما.. إنه الحب الأول... الأقوى والأفضل، لكن الناس يقولون إنه لا يدوم.. هراء! ماذا يعرف الناس؟ لا شيء! لقد التقيت بزوجي عندما كنت في الثانية

www.rewity.com

عشرة، كان زواجنا تقليدياً. لكنني أحبه... من يعلم متى تموت هذه الأمور؟ من يعرف اللحظة التي يتغير فيها القلب؟ من بعده لم أنظر الى رجل، مطلقاً...

نظرت الى مايسي مبتسمة:

- حتى ولا الى كورد.. تقريباً.

كانت الأميرة تمسك يدها بقوة تضغطها بألم على الخواتم الضخمة.. وصوتها يتدفق:

- هكذا، أنا سعيدة لك يا صغيرتي، ولكورد كذلك.. أنا امرأة عجوز، لكنني رومانسية، وأحب النهايات السعيدة.. تجعلني أبكي.

بحركة عفوية، التفتت مايسي تجيل بصرها بين الموجودين، فضحكت الأميرة:

- أتبحثين عن كورد؟ هذا طبيعي! اتركيني الآن عزيزتي.. ستتحدث فيما بعد. اذهبي الى هناك فقد تجدينه.

- شكراً لك.

ضغطت على يد العجوز، فالتقت نظراتهما بتفاهم كامل، وهذا ما أعطى مايسي الشجاعة.. ستبحث عنه الآن لتقول له عن مشاعرها نحوه... ولن تستمر في الإخفاء.

فجأة شاهدته، فتوقفت في مكانها وقد تجمد الدم في عروقها. كان يقف عند مؤخرة الشرفة، يستند الى أحد الأعمدة، والى جانبه امرأة طويلة، شعرها الأسود معقوص عند عنقها الطويل الجميل، ترتدي فستاناً طويلاً من الحرير الأبيض الملاصق لكل خط من خطوط جسدها المتكامل... وكان رأساهما متلاصقين.. فضحكت المرأة فجأة، ومدت يدها لتلمس شعر كورد. فأحست مايسي

بغضب مرير، أمسك بقلبها بعنف لم تستطع معه الحراك.

من خلفها سمعت صوت رجل يقول:

- من الرجل الواقف مع باسكال؟

فأجابته امرأة:

- إنه ذلك المحامي المقرّب جداً من الأميرة.. أليس كذلك؟ اسمه... باكلير..

- هل هذا هو باكلير؟ سمعتُ كثيراً عنه.. لكنني سمعت أنه تزوج.

فضحكت المرأة وهمست بشيء لم تسمعه مايسي، وشهق الرجل.

- صحيح؟ أتعنين أنه وباسكال...

اتعدت مايسي ووجنتاها تحترقان.. تسللت بين الجموع لتجد مكاناً هادئاً بعيداً عن الموجودين... التفتت لتجد باسكال تقول شيئاً لكورد مشيرة الى حلبة الرقص، وبدا التردد على كورد، ثم ضحك وتقدم معها الى الأمام يضم خصرها بذراعه.

لم تحتمل مايسي ما رأت.. استدارت على عقبيها وهرعت بين الحشود تبحث عن باب لتهرب منه، لأنها لم تعد تحتمل سماع التعليقات الساخرة.

في نهاية الشرفة، لمحت ممراً مظلماً، خالياً فدخلته على الفور، استدار بها الممر في زاوية حادّة، ليتفرع. فركضت وتابعت ركضها... قادها الممر بعيداً، وأخذت أصوات الموسيقى تضعف. الجدران الصماء من حولها، الأرض الحجرية والسقف المنخفض جعلت وقع أقدامها ترن بالصدى.. المكان بارد.. فأحست فجأة بالبرد، واصطدمت ذراعاها العاريتان بالجدران

www.ieuvity.com

الرطبة. فجأة سمعت صوت الماء، وأدركت الى أين وصلت، وانفتح الممر الضيق لتقف فجأة، وتستند الى الجدار البارد الرطب، فأحست بألم حاد في صدرها.. لقد وصلت الى غرفة القوارب، على بُعد أقدام منها كانت مياه المارن تنساب بجانب القصر، وكانت المياه سوداء تلمع وكأنها الزيت تحت الضوء الخفيف المتبعث من الأبواب الحديدية التي تسد المنفذ. في الحديد الصدئ، حلقتان حديديتان رُبط بهما قاربان أسودا اللون، يتموجان مع اندفاع المياه.. فارتجفت خوفاً، وهي لا تزال تسمع أصوات الموسيقى، لكن المكان الواسع الخاوي كان يردد صوت الماء وصدى أنفاسها أكثر.

ثم سمعت وقع أقدام... كانت تتجه في الممر الذي سلكته. توقفت لحظة، ثم تقدمت بسرعة أكثر. برعب مفاجئ، التصقت بالجدار المختفي، تحس برطوبته وبرودته تدخل جسمها من خلال الفستان. كتمت أنفاسها ولم تتحرك وأصبح وقع الأقدام الآن أقرب، متدفعة وكأن صاحبها يركض. ثم توقفت فجأة.. لا بد أنه وصل الى غرفة القوارب... وساد الصمت.

شخص ما كان يقف في المدخل، دون حراك، وكأنه يصغي بانتباه. ثم تكلم بصوت منخفض:

ـ مايسي؟ أعرف أنك هنا. وأيتك تغادرين.. أين تختبئين؟

أحست بالخوف يخنق صوتها. وعلمت أن كل هذا عبث.. لكنها لم تستطع أن ترد.

علا الصوت الى أكثر من الهمس، فترددصداه فوق الماء:

ـ مايسي؟ الأفضل أن تظهري، وإلا سأضطر الى التفتيش عنك.

في تلك اللحظة، سمعت دوي رعد منخفض، وكأن السماء تمطر.. وتصاعدت الأصوات وهزت الجدران من حول مايسي.. ثم لمع البرق مضيئاً النهر في الخارج، والغرفة المظلمة بضوء يخطف الأبصار.. وشاهدت في لمح البصر كل ما حولها من جدران خضراء رطبة.. وصورة رجل ينظر نحوها مباشرة. لقد رآها، فتقدمت الى الأمام.

ـ كورد؟

لكنها أدركت في لمح البصر.. وقبل أن تدوي ضحكته، وقبل أن يتكلم من هو.

وأجابها:

ـ لا.. مايسي.. أنا ليو.

تجمدت مايسي في مكانها تنظر إليه مذهولة، غير قادرة على الكلام، وكأنما لسانها مبيس في حلقها. أخذ الخوف يتسرب الى قلبها واقشعر جسمها. فتقدم منها ليو مبتسماً، لكن عينيه في الظل. وأدركت إحساسه بخوفها:

ـ حسناً.. ألا تقولين شيئاً؟ ألست مندهشة؟ ألا ترحبين بي.

تراجعت عنه، لكنها اصطدمت بالجدار، وخرج صوتها بقوة أكثر مما أرادت لكنه ظل يحمل علامات الخوف:

ـ ماذا تفعل هنا؟

فضحك.. ومد يده الى جيبه، وأخرج سيكارة أشعلها، فرأت وجهه بوضوح على ضوء الولاعة:

ـ جئت لأراكِ.. ولو أنني أكره مقاطعة شهر عسلكما، خاصة لأنني بذلت جهدي كي أجمعكما معاً.. ما ذلك الترتيب الذي رتبه أخي؟ غرف منفصلة؟ هذا لا يمت الى شهر العسل بشيء، ولا

www.rewity.com

حتى الى الزواج. لذلك قررت لعب دور «كيوبيد».. لأرى ماذا سيحدث.. إنه الفضول. أمر رهيب أليس كذلك مايسي؟ لكنني كنت دوماً فضولياً.. أتذكرين؟ لذا كان عليَّ المجيء لأرى بعيني كيف الحال بينكما.. أنت وأخي العزيز.

ـ أنت مجنون!

فضحك ثانية:

ـ أنا هكذا دائماً. لكن لا تخافي مايسي، أنا شديد القلق عليك.. لذلك أنا هنا.. لأزوركما زيارة وسمية صغيرة في الفندق. اتصلت عدة مرات لكن يبدو أن هناك تعليمات مشددة بعدم إزعاجك، وهكذا قررت أن أجعل زيارتي اجتماعية، هنا عند الأميرة.. أمر سهل أن الاحق تحركات أخي العزيز، أليس كذلك؟ كل باريس تعرف تحركاته... اخبريني هل تمتعتِ بزيارة فرساي؟

حدقت به مايسي مذهولة، فعاد الى الضحك.. من بعيد سمعت مايسي أصوات الرعد.. أجبرت صوتها على الخروج، محاولة جعله يبدو صارماً غير خائف:

ـ ماذا تريد؟

وهي تتكلم أدارت رأسها جانباً، تريد التأكد مما إذا كانت قادرة على تجاوزه بسرعة ما بين الجدار والماء. تحرك سريعاً ليسد عليها الطريق. ثم ابتسم ساخراً.

ـ ماذا أريد؟ أريدك أن تعرفي الحقيقة، يجب أن تعرفي، أليس كذلك؟

ـ الحقيقة؟

ـ الحقيقة حول سبب زواج كورد منك... من بين أمور أخرى. لطالما كنت أؤمن بأن من حق الزوجة معرفة هذه الأمور.

ـ لا.. لا أريد معرفة شيء. ولا أريد أن أستمع الى أي شيء ستقوله ليّ!

استعادت قوتها فجأة، وحاولت دفعه جانباً، إلا أنه لم يتزحزح. بل مال نحوها، ووضع ذراعيه الى قرب بحيث أصبحت راحتا يديه مستندتين الى الجدارين، وبحيث أصبحت مايسي محجوزة.

ـ لكنك ستستمعين إليّ.. ألم يفاجئك الأمر مايسي.. أنا متدهش كيف أن امرأة ذكية مثلك قبلت بمثل هذا الزواج. إلا إذا كان هذا ما تريدينه، بالطبع...

صاحت بمقت:

ـ ابتعد عن طريقي.

أدهشتها قوتها وهي تدفعه، لكنه أمسك بيدها على الفور، وأوى ذراعها الى الخلف، حتى أنها صرخت من الألم، ثم دفعها بخشونة ليسندها الى الجدار، وشد على ذراعها:

ـ لا تفعلي هذا ثانية. فقد أؤذيك إذا أغضبتني مايسي..

أحنى وجهه قرب وجهها وابتسم. ثم استقام دون أن يتركها.

ـ والآن.. بضع توضيحات. وهي تشمل أختك العزيزة، لذا عليك الاستماع.

أدركت أن الموضوع قد شد اهتمامها، فأرخى قبضته عنها وأكمل:

ـ لست أدري بالضبط، لكن أعتقد أن أبيغال قد أخبرتك حقيقة العلاقة التي كانت بيننا، علاقة ناجحة لكنها لم تدم طويلاً لأنني في الواقع ما كنت أريد أبيغال.. لكنها كانت أفضل ما استطعت الحصول عليه، ويمكن أن أعترف لك أنني لم أستطع النجاح في

www.rewity.com

الادعاء أنها أنتِ..

- أنت قذر فاسد! اتركني..

قاومت مايسي بشراسة لتخلص ذراعها منه، ثم لاحظت أنه يتمتع بمقاومتها.. فتوقفت. ورغم النور الخافت، استطاعت أن ترى في عينيه شيئاً من ذكرياتها البعيدة... شيء ملأها بخوف شديد، خوف قادم من الماضي... لكنه استمر ينظر إليها ببرود.

- أبيغال الصغيرة وأنا.. توصلنا الى اتفاق.. لنقل انه اتفاق عمل... أتعلمين مايسي، حتى ظهر أخي العزيز، كان لي خط صغير يدر عليّ الربح. أمر سهل في مؤسستنا العائلية القديمة الطراز، خاصة عندما يكون الأب قابعاً في بيته، والابن هو الموثوق به والوريث... وأنا أحب المال... مال أكثر مما قد يتلقاه المرء من راتبه كمحام... وكذلك كانت أختك الصغيرة، وكان هذا أمراً مشتركاً بيننا. لذلك عندما سألتها التعاون معي، وافقت... الى أن وصل كورد... فخافت منه.

ثم نظر إليها بعينين تلمعان مثل الماء في الظلام، وفي مكان ما من بعيد كانت العاصفة تدور... فسمعت رعدة قوية تدوي، ولمع البرق. وضحك ليو متابعاً كلامه:

- كانت الأمور ستسير على ما يرام، لولا تدخلك، وذهابك الى كورد.. لذلك وجدت نفسي أنخبط في المشاكل.. علماً أن مشاعري نحو كورد كانت مشوشة، لكن عليّ الاعتراف بذكائه. ولست أدري ما قالته أبيغال لك، أو قلتيه لكورد، لكن قبل أن تتنفسي كان أخي العزيز قد راجع الحسابات واكتشف كل شيء، ووجد الكثير من المال، باسم ليو في البنك.. أليس هذا أمراً

شنيعاً؟ شرف العائلة أصبح مهدداً وكورد شديد التمسك بالشرف... ألم تلاحظي هذا؟

تنفست مايسي بعمق وحدة، خوف غريب، مألوف، سرى تحت جلدها... لكنها قالت بشراسة وصوت منخفض:

- لا أصدقك... أنت كاذب... على كل الأحوال لا علاقة لي بشأنك...

- بل له علاقة بك. أتعرفين لماذا تزوجك كورد؟ أوه.. هيا مايسي.. لا تقولي لي إنك لا زلت تحتضنين تلك المشاعر الحمقاء حول حب طفولي؟ هل صدق عقلك البريء الصغير، أنه ربما أحبك؟ هل قال لك هذا؟ كورد مستقيم حول هذه الأمور... وقد يعجبه أن يذهب معك الى الفراش، فهذا نوع من التغيير نحو نساء أمثال باسكال.. مايسي! الأمر بسيط.. لقد تزوجك لسكنك.

- ماذا؟

ضحك ليو ثانية، وتقدم منها أكثر، حتى ضغط صدره على صدرها قليلاً، وجهه يبعد قليلاً عن وجهها:

- ماذا قلت له مايسي؟ هل هددته بفضح الأمر.. أو الذهاب الى البوليس؟ أجل.. هذا ما قد تفعلينه وكما ترين... هذا آخر ما يريده كورد.. حرص على كتمان كل شيء... كان غاضباً بالطبع حين أخبرني فهو مرعب جداً عندما يغضب... تتملكه فكرة غريبة أن عليه حمايتنا.. ليس أنا فهو يكرهني ولا أعرف السبب لكن الحماية والدنا... فمثل هذه الفضيحة قد تودي بحياته، فلقد دفع كورد من جيبه معظم المال، وأنا كنت حريصاً جداً على أن أتخلص بكل سهولة... لكن بقيت مشكلة وحيدة... أنت يا مايسي.

www.rewity.com

ـ هذا غير صحيح!

ـ أخشى أن يكون صحيحاً، فهو يعرفك جيداً. ويعرف أنك عندما تتزوجينه ستبقين صامتة بدافع الولاء له. فأنت من النوع المطيع.. ألست هكذا مايسي؟

وهو يتكلم عاد الى لوي ذراعها بحدة حتى صاحت ألماً، فجذبها إليه بقوة لتلامس جسده، وبيده الأخرى كان يزيح شعرها عن كتفيها:

ـ هيا... هيا مايسي! أعرف ما ترغبين فيه، ولطالما عرفته. أنت مثل أمك.. لم تكن سوى عاهرة.. ولست أفضل منها.. هيا. ألا تذكرين مايسي؟ منذ سنين طويلة... في فكوفر، وكنت لازلت في الخامسة عشرة...

ـ ابتعد عني!

حاولت أن ترفسه بالساق، لكنه صفعها بشدة.

ـ قلت لك.. لا تفعلي هذا!

اصطدم رأسها بالجدار الحجري، وسرى فيها الألم.. مد ليو يده الى شعرها ليزيد من ألمها فبكت. حدقت به غير قادرة على الكلام في وقت أخذت أفكارها تتسارع لتتدفق أمامها صور الماضي متسارعة أمام ناظريها.

ـ ماذا ستفعلين الآن؟ أتصرخين؟ لن يسمعك أحد... لكن إذا فكرت بالصراخ...

وضع يده الرطبة على عنقها وكاد أن يخنقها ثم رفعها الى فمها، فكادت أن تختنق.

في تلك اللحظة تذكرت، ولا بد أن شيئاً ما ظهر في عينيها لأنه ابتسم:

ـ إذن.. لازلت تذكرين... كنت يومها تظاهرين بمقاومتي.. أليس كذلك؟ لكنك لن تخدعيني، فأنت تحبين هذا.

ضغط بشدة على جسدها يرفعه عن الأرض، ثم أخذ يدفعها الى الخلف والأسفل. فانطرت ساقاها تحتها ووقعت بقوة فوق الأحجار المبللة.. وضحك ليو.. فسمعت نفسها تقول:

ـ أرجوك.. أرجوك ليو.. لا تفعل هذا.. لا تفعل...

صفعها ثانية وصاح:

ـ اخرسي!

وأطبق بفمه عليها ليخرسها بالفعل، يده تمسك برأسها كي لا تحركه.. وامتزج الدم بالرطوبة، وأحست أنها ستختنق.. وبالقوة الغريزية التي ولدها الخوف، لفت ذراعها حوله، وأمسكت بشعره وشدته محاولة ابعاده عنها، فخدشت وجهه وعينيه... بدا لها أن تفكيرها يتباطأ، مثل الحلم.. فكل لحظة كانت تمر كساعة.. لقد بدأ ليو يستنفذ قواها والألم يشل عضلاتها.. فاستجمعت آخر ما تبقى لها من قوة، وانشبت أظافرها في جسده... لكنها فجأة أحست به يرتفع عنها، ويصيح اثر ألمه وهو راكع على ركبتيه، ثم رأت ذراعاً ترتفع لتسدد ضربة. لكن البرق الذي أضاء المكان للحظات كشف لها عن كورد..

كان يقبض على ليو من عنقه، يجره الى الخلف ليقف على قدميه، ثم ترنح الرجلان، دون أن يتكلما.. وأخذت الجدران ترده صدى أنفاسهما الحادة.. فتقاتلا، دون أن تتمكن من الحراك! أحست بسائل على وجهها لم تتبين إذا كان ماءاً أم دماءً لشدة ألمها.

دوى الرعد ثانية فوق الرؤوس، وعلى الفور لمع البرق،

www.rewity.com

ليضيء للحظات صورتين سوداوين ظلهما طويل وضخم فوق الجدار، أذرعهما متشابكة وهما يتقاتلان، ثم قبل لمحة بصر من زوال النور، شاهدت كورد يفلت، وتراجعت ذراعه الى الخلف، وساد الظلام، لكنها سمعت صدى لكمة.. وفي العتمة لاحظت ليو وهو يتهاوى الى الخلف، وقدماه ترتفعان ليقع بقوة.. اصطدم بالجدار، ثم انزلق الى الأسفل نحو الحجارة الرطبة، ووقف كورد فوقه، مرتفعاً كالبرج، دون حراك، يراقبه. فأطلقت مايسي صرخة خوف، ولمع البرق ثانية، فاستدار كورد نحوها، لكن ليو لم يتحرك.

صاحت عالياً محاولة النهوض:

ـ كورد!

وقف ينظر إليها، الى الفستان الكاشف عن ساقيها.. الى المخمل الأسود المفتوح عن صدرها. وقال ببرود:

ـ أتظنين أنه مات؟

الحقد في صوته قطع الطريق على الكلمات التي كانت ستقولها. فأكمل:

ـ لا تقلقي. إنه لم يمت. لكنني تمنيت الموت لك. انهضي.. لا أطيق النظر إليك.

ـ كورد.. أرجوك.. ليس الأمر كما تظن.. دعني أشرح لك...

ـ لا أريد سماع أكاذيبك القذرة! أنت وليو بدأتما أمراً فيما مضى.. وقررتما إكماله.

حاول الامساك بها، ثم تراجع:

ـ هذا غير صحيح!

ـ خلي.

خلع سترته بسرعة ورماها لها:

ـ الأفضل أن تستري عريك.. فأنت الآن تدين على حقيقتك!

التقطت السترة ببطء لتلف نفسها بها مخفية ارتعاشها.

ـ حسناً.. استمعي إليّ الآن.. سأحاول إخراجك من الباب الخلفي، وسآخذك الى الفندق.. بعدها لا أريد أن تقع عيناي عليك.. مطلقاً، والى الأبد.. أتفهمين؟

ـ كورد..

ـ لا تلمسيني!

لم يشاهدهما أحد وهما يغادران القصر، ونقلتهما سيارة الأميرة التي جاءت بهما نحو باريس. في الفندق، أسرع بها فوق السلالم يدفعها أمامه كأنما لا يطيق أن يراها أحد.. ولم يتوقف قبل أن يصلا الى الغرفة ويضيء النور.

أخذ ينظر الى وجهها.. ففكرت أنه لا بد أن يكون هناك بعض الكدمات أو الدماء على بشرتها. أدارت نظرها إليه متوسلة، فرأت علامات الارتعاش على وجهه.

ـ قلت لك من قبل لا تنظري إليّ.

استدار عنها بعنف، وأخذ يفتح الأدراج والخزانة ثم أخرج حقيبة وبدأ يضع فيها الثياب.. وبدا لها أن عقلها يعمل ببطء، بسبب الألم الذي تحس به.. ثم شاهدت على الرف الأعلى للخزانة، شيئاً مدفوعاً الى الداخل:

ـ هذه حقيبتي.. الضائعة.

فابتسم ابتسامة متجهمة:

ـ أجل.. لقد كذبت.. أنا من وضعها هنا.

ـ أنت؟

ـ أجل.. اختلقت عذراً لأشتري لك شيئاً. غبي.. أليس كذلك؟ لكنني حينها لم أكن أعلم أنك رخيصة.

فصاحت به:

ـ انظر إليّ كورد..

تقدمت منه لتجذبه الى مواجهتها:

ـ انظر الى وجهي بحق الله! أتظن أنني تقبلت هذا بإرادتي؟

نظر إليها ببرود:

ـ أوه.. هيا الآن مايسي.. كلانا يعلم أن الخدمات تظهر عليك بسهولة..

استدار عنها مجدداً ليقفل الحقيبة ويحملها متجهاً الى الباب. فأمسكت بذراعه:

ـ كورد أرجوك الى أين أنت ذاهب؟

ـ هذا ليس من شأنك.

ـ أنا زوجتك!

ـ كنتِ.

فركضت خلفه:

ـ أرجوك كورد، لا يمكنك الذهاب..

ـ وهل لديكِ سبب يجبرني على البقاء؟

توقفت مايسي خجلة من توسلاتها.. وتنفست بقوة.. وقالت بعنف:

ـ لا.. ليس هناك من سبب.. ولماذا تبقى؟ لكن على الأقل لا تدّعي.. لا تكذب.. فأنا أعرف أين أنت ذاهب.. أتظنني غبية؟ أنت ذاهب الى باسكال.. أليس كذلك؟

وقف كورد للحظات، ووجهه متجهم، ثم قال بسخرية متعمدة:

ـ أنتِ كأمك تماماً.. عاهرة.. وتفكيرك عاهر.

واستدار ثانية الى الباب:

ـ خذي المفاتيح.. واحتفظي بهذا الحجز. سأدفع الفاتورة، بعدها رتبي أمورك بنفسك.

وخرج صافقاً الباب وراءه.

☆ ☆ ☆

www.rewity.com سما الياقوت

حتى الى الزواج. لذلك قررت لعب دور «كيوبيد».. لأرى ماذا سيحدث.. إنه الفضول. أمر رهيب أليس كذلك مايسي؟ لكنني كنت دوماً فضولياً.. أتذكرين؟ لذا كان عليَّ المجيء لأرى بعيني كيف الحال بينكما.. أنت وأخي العزيز.

ـ أنت مجنون!

فضحك ثانية:

ـ أنا هكذا دائماً. لكن لا تخافي مايسي، أنا شديد القلق عليك.. لذلك أنا هنا.. لأزوركما زيارة وسمية صغيرة في الفندق. اتصلت عدة مرات لكن يبدو أن هناك تعليمات مشددة بعدم إزعاجك، وهكذا قررت أن أجعل زيارتي اجتماعية، هنا عند الأميرة.. أمر سهل أن الاحق تحركات أخي العزيز، أليس كذلك؟ كل باريس تعرف تحركاته... اخبريني هل تمتعتِ بزيارة فرساي؟

حدقت به مايسي مذهولة، فعاد الى الضحك.. من بعيد سمعت مايسي أصوات الرعد.. أجبرت صوتها على الخروج، محاولة جعله يبدو صارماً غير خائف:

ـ ماذا تريد؟

وهي تتكلم أدارت رأسها جانباً، تريد التأكد مما إذا كانت قادرة على تجاوزه بسرعة ما بين الجدار والماء. تحرك سريعاً ليسد عليها الطريق. ثم ابتسم ساخراً.

ـ ماذا أريد؟ أريدك أن تعرفي الحقيقة، يجب أن تعرفي، أليس كذلك؟

ـ الحقيقة؟

ـ الحقيقة حول سبب زواج كورد منك... من بين أمور أخرى. لطالما كنت أؤمن بأن من حق الزوجة معرفة هذه الأمور.

ـ لا.. لا أريد معرفة شيء. ولا أريد أن أستمع الى أي شيء ستقوله ليّ!

استعادت قوتها فجأة، وحاولت دفعه جانباً، إلا أنه لم يتزحزح. بل مال نحوها، ووضع ذراعيه الى قرب بحيث أصبحت راحتا يديه مستندتين الى الجدارين، وبحيث أصبحت مايسي محجوزة.

ـ لكنك ستستمعين إليّ.. ألم يفاجئك الأمر مايسي.. أنا متدهش كيف أن امرأة ذكية مثلك قبلت بمثل هذا الزواج. إلا إذا كان هذا ما تريدينه، بالطبع...

صاحت بمقت:

ـ ابتعد عن طريقي.

أدهشتها قوتها وهي تدفعه، لكنه أمسك بيدها على الفور، وأوى ذراعها الى الخلف، حتى أنها صرخت من الألم، ثم دفعها بخشونة ليسندها الى الجدار، وشد على ذراعها:

ـ لا تفعلي هذا ثانية. فقد أؤذيك إذا أغضبتني مايسي..

أحنى وجهه قرب وجهها وابتسم. ثم استقام دون أن يتركها.

ـ والآن.. بضع توضيحات. وهي تشمل أختك العزيزة، لذا عليك الاستماع.

أدركت أن الموضوع قد شد اهتمامها، فأرخى قبضته عنها وأكمل:

ـ لست أدري بالضبط، لكن أعتقد أن أبيغال قد أخبرتك حقيقة العلاقة التي كانت بيننا، علاقة ناجحة لكنها لم تدم طويلاً لأنني في الواقع ما كنت أريد أبيغال.. لكنها كانت أفضل ما استطعت الحصول عليه، ويمكن أن أعترف لك أنني لم أستطع النجاح في

www.rewity.com

٨ ـ ستبقى حبيبي

تنهدت مايسي، تطلع في عتمة الغرفة، الى النوافذ الخشبية التي تحجب النور... وتدافعت الأحداث في ذهنها.. لقد قال لها: أنت كأمك.. وصاحت لنفسها: هذا ليس صحيحاً.. أنا لست مثلها..

لكنه يصفها هكذا. استطاعت أن تتذكر تعابير وجهه منذ عشر سنوات عندما فاجأها وليو في نفس الموقف، وقف ليو يعذب أكاذيبه، وكيف أن الذنب والعار أمسك بخناقها.. عار، حتى الآن، لم يترك لها مجال لأن تبكي على أمها يوم ماتت.. فقد كانت يومها تخاف أن تكون مثلها.

أيمكن للمرء أن يرغب في شخص ويكرهه في نفس الوقت؟ فكرت بألم: أجل.. كورد قادر على هذا. ربما كان يعاقبها بزواجه منها، أو يعاقب أمها، أو يعاقب نفسه، أو يحاول تحطيم الصبي الذي كان.. لن تعرف الحقيقة الآن. كل ما تعرفه أنها بكل سذاجة وبلاهة ظنت أنهما أصبحا قريبين... بينما في الواقع، كان هناك خليج واسع بينهما باتساع المحيط. وأدارت وجهها نحو الوسادة تدفنه وتبكي.

فجأة أحست بوخزة عنيفة في قلبها، كالمعى تذكرت واقعاً نسيته في يأسها.. ليس معها مال. لقد أرسلته كله الى أبيها... ليس معها حتى ثمن تذكرة العودة. بطريقة ما يجب أن تحصل على

مال يكفي ثمن تذكرة طائرة تعود بها الى كندا.. يمكن لها أن تتصل بإيفال.. أو مايك.. مايك الأفضل.. التقطت الهاتف بيد مرتجفة. فأجابتها عاملة الهاتف.. أوتاوا؟ آسفة جداً.. لقد حاولت منذ قليل والخطوط كلها مشغولة.. أيمكن لها أن تحاول فيما بعد؟

ـ لا.. لا.. شكراً.. سأقرر هذا فيما بعد.

فجأة لم تعد تطيق البقاء في الغرفة.. جوها خانق والعتمة تطبق على أنفاسها. بسرعة توجهت الى النوافذ تفتحها، فاندفع النور الى الداخل ليبهر عينيها... وسمعت طرقاً على الباب، فاستدارت، قبل أن تتكلم.. فتح الباب لترى الأميرة مستندة الى عكازها

ـ يا حبيبتي...!

ودخلت الغرفة مقفلةً الباب وراءها، ثم توقفت لتجول بنظرها نحو الفراش المبعثر والوسادة المبللة، والثوب الممزق المرمي على الأرض. تقدمت العجوز منها لتمسك بيدها:

ـ يجب أن ترتدي ملابسك فوراً.. اجمعي ما تحتاجينه فقط.. سنرسل بطلب ما تبقى فيما بعد.

حدقت مايسي بها باضطراب.. فابتسمت الأميرة.

ـ هيا.. لا تتباطأي. ما هذه المهزلة؟

ـ آسفة، يبدو أن تفكيري ليس قويماً.. عندما قرعت الباب ظننتك..

ـ ظننتني كورد هه؟ للأسف سافر الى كندا صباح اليوم.. سأساعدك..

وقفت مايسي جامدة بصمت، فضحكت الأميرة:

www.rewity.com

- إذا كان لديك خطط أخرى يا عزيزتي فانسيها. لقد رتبت لك كل شيء.. ستقيمين معي.

- معك؟

- بكل تأكيد.

- وهل يعرف..

- كورد؟ بالطبع لا. سيبقى سراً بيننا عزيزتي. هؤلاء الرجال حمقى بكبريائهم! كل شيء هنا - وأشارت الى قلبها - ولا شيء هنا - وأشارت الى رأسها. ماذا تفعل بهم؟ عندما يكون رجل مثل كورد غاضباً يكون كالنمر الهائج... في هذه الحال دعيه وشأنه.. انسيه قليلاً.. صدقيني عزيزتي! فأنا أعرفه.. هكذا أفضل!

- أنت لا تفهميني..

قاطعتها الأميرة ضاحكة:

- أفهمك بكل تأكيد.. أنا امرأة عجوز، وشاهدت مثل هذه الأمور من قبل.. بالنسبة لك الأمر جديد، ومؤلم.. لكن لن نتكلم في هذا الآن.. هيا.. وضعي أغراضك.

كانتا تجلسان على شرفة القصر، تطلان على الحديقة.. كان الوقت مساء، ورائحة الأرض تفوح بعد أن دفأتها شمس النهار.. في الهدوء والسكينة، أحست مايسي بشيء قريب من الارتياح، وقالت للأميرة:

- إذن لقد مرض والده مجدداً؟

- هكذا قال... المكان جميل هنا... أليس كذلك؟ والد زوجي هو مؤسس هذه الحديقة. عندما جئت الى هنا أول مرة كانت الحديقة رسمية.. كلاسيكية.. ولا أحب هذا الطراز.. بل أحب الحدائق حسب طريقتكم، أشكالها جميلة وطبيعية. إذن..

هل ستبقين معي عزيزتي؟ الى أن..

- لو سمحت.. مجرد فترة قصيرة.. شكراً لك.

- لم يقل لي كورد شيئاً عما حصل. ولست مضطرة أن تخبريني طبعاً.. لقد تخاصمتما، وهذا واضح.. هذه الأشياء تموت بين الرجل والمرأة. وهذا ليس من شأني... فابقي هنا الى أن يهدأ قليلاً.

- أتظنينه قد يهدأ؟

فوقفت الأميرة تستند الى عصاها، تنظر الى وجه مايسي بجدية أكثر:

- وربما.. من يعلم؟ أنتِ شابة... وكل شيء متوقع.. هيا الآن لنتناول العشاء.. وفي طريقنا سأريك شيئاً عزيزتي.

توقفت بها عند نهاية الممر المؤدي الى الداخل، ورفعت عصاها تشير الى رسم معلق في أول الردهة.

- أتعرفين هذا الرسم؟ إنها والدتك.. إنه رسم رائع لها. أليس كذلك؟ لكن الرسام كان شاباً ممتازاً وغنياً.. وقع في حبها، مثل معظم الرجال. لكنه التقط فيها شيئاً لم يلتقطه غيره في عينيها.. ألا تظنين هذا؟

- متى رسمت هذه الصورة؟

- ليس قبل فترة طويلة من موتها. ربما سنة.. خلال إقامتها في باريس.. ومات هو كذلك.. بعدها بقليل.

حدقتا بالرسم معاً، لكن مايسي ارتجفت:

- ألا تعجبك؟ أستطيع فهم السبب.. فالصورة قاسية.

- تبدو فيها حزينة.

- لقد كانت حزينة حقاً، يائسة، مُحبطة.. ولم تكن لتعطي

www.rewity.com

شيئاً يمت لقلبها بصلة.

فالتفتت إليها مايسي لتقول دون معرفة سبب قولها:

ـ لكنني أحب كورد.

فابتسمت الأميرة:

ـ أعرف. ولهذا السبب عرضت عليك الصورة.. لكنك لم تبلّغي حبك لكورد.. أليس كذلك؟

أحنت مايسي رأسها:

ـ لا.

ـ إذن يجب أن تقولي له.. كوني جريئة قليلاً. هل الأمر صعب؟ لا يمكن لأحد أن يفعل هذا عنك... على كل الأحوال.. ماذا يمكن أن يحدث؟ في أسوأ الأحوال ستتألمين. لكن الأمر يستحق الألم والتضحية.. هذه نصيحتي لك.. لنذهب الى العشاء.

مرت الساعات بسرعة تلحق بها الأيام. وصلها ذات يوم خطاب من أبيغال، عبر الفندق. فأسرعت مايسي الى غرفتها لتفتحه. وأخذت تفتش فيه عن الاسم الذي تتمنى أن تقرأه.. لكنه جاء في آخر الخطاب حين تمنّت لهما أبيغال السعادة بعد أن أبيغال لا تعرف بعودة كورد الى كندا. وأخبرتها أبيغال عن فستان العرس الذي سترتديه، وعن شراء ديكي تذاكر رحلة بحرية الى اليونان..

تركت مايسي الرسالة تقع من يدها.. أبيغال سعيدة الآن. وهذا واضح.. لكن فيما بعد؟ إذا كانت إحداهما تشبه أمها فهي أبيغال، في بحثها الدائم القلق عن الاثارة، وفي رفضها الدائم للتفكير برغبات الآخرين.. فهل ستستمر في حب ديكي بعد ثلاث

سنوات من الآن؟ بعد عشرة؟ عشرين؟

علمت في تلك اللحظة أن حبها لكورد لن يتغير.. ستحبه الى ما بعد ثلاث سنوات، عشرة، عشرين، على الدوام. فجأة أحست بدافع للكتابة له أو للاتصال به بطريقة ما.. بينما هي على وشك الكتابة، لمحت خطاب أبيغال مرمياً على الأرض وقبه الأمل بأن تكون سعيدة مع كورد، وعاودتها الذكرى... كورد وباسكال، وأنغام الفالس الناعمة التي راقصها عليها، فرمت القلم من يدها.. لن تتمكن من الكتابة. وربما الأميرة على حق.. فهي لا تملك الجرأة بعد.

في الأسبوع التالي من إقامتها، وفي حديقة الأميرة، بدأت أولى دلائل الربيع.. أزهار النقسيس والنرجس تفاح عطرهما، وفي أحد الأيام، لمحت مايسي باقة ورد اختفتها بالحجوز التي ابتسمت لها راضية مسرورة.

ـ شكراً لك عزيزتي.. اليوم جميل ويحلو فيه السير، أليس كذلك؟ عليّ أن أخرج لتنشق الهواء النقي.. لأجلي مايسي.

وهكذا وعدتها مايسي. فخرجت بالسيارة نحو باريس، المتألقة تحت أشعة الشمس كما شاهدتها أول مرة.. لكنها هذه المرة لم تبحث عن الأماكن التي زارتها مع كورد، بل تأملتها جيداً وبدلاً من الألم أحست بالراحة... وكأنه معها.

باندفاع منهور، صعدت الى باص متجه الى فرساي. وكان مكتظاً بمجموعة من فتية المدارس، يتصايحون ويتضاحكون ويشدون. راقبتهم مايسي بتزلون ويتجمهرون تحت إشراف أساتذتهم، ليقودهم فيما بعد الى القصر.

لكنها لم تقصد القصور، بل توجهت الى الحدائق تسير فيها

www.rewity.com

تحس بدفء الشمس على كتفيها وظهرها، تراقب ظلها يتحرك أمامها فوق الممرات المرصوفة بالحصى.. إحساسها بكورد في هذه اللحظات كان قوياً، حتى انها أحست بأن هذه الذبذبات بالرغم من آلاف الأميال التي تفصلهما يجب أن تصل إليه. ووقفت تصغي الى الهدوء والصمت..

وصلت الى الكاتدرائية التي سبق أن زارتها مع كورد، ودخلت فأحست ببرودتها. هذا المبنى صمد هنا لألف سنة، كم من النساء كم من الرجال، طوال هذه القرون، توافدوا الى هنا وهم يشعرون كما تشعر؟ لقد أصبحوا من الماضي.. لفّهم النسيان.. ذهبوا.. وبقي البنيان وازداد إيمانها بالقضاء والقدر.. ماذا يهم ما يحدث الآن؟ فالنهاية واحدة.. مهما كانت قوة الحزن أو خفقان القلب.

فجأة تلاشى كسلها فاستدارت نحو الباب الفارغ، حيث كان يقف كورد في المرة السابقة. وفي الصمت المطبق الرهيب صاحت:

- «كوردا»

وأخذ صوتها يدوي بصدى غريب.

وعرفت في تلك اللحظة بالذات ما يجب أن تفعله..

يجب أن تخبره، مهما كانت النتائج.. لا شيء يهمها غير الحقيقة.

ركضت تصعد درجات السلم في قصر الأميرة لتصل غرفتها،

ويدين مرتجفتين، أخذت ورقة وقلماً، ومغلفاً.. وبدأت تكتب:

«عزيزي كورد. يجب أن تعرف. حاولت أن أقول اليوم للهواء.. لكن يجب أن أقول لك الآن... أحبك... أحبك كثيراً ولطالما أحببتك دوماً، لكنني كنت جبانة وخائفة..»

عندما انتهت، لم تعد قراءتها، بل وضعتها في المغلف، ختمته، وكتبت عليه العنوان.. قد لا يعيده هذا الخطاب لها.. ربما ليس فوراً. لكن عليها أن تقول له.

عندما عادت من مركز البريد، متسللة من باب جانبي، عبر قاعة الاستقبال، سمعت أصواتاً من غرفة جلوس الأميرة، التي لا بد أنها سمعتها، إذ صاحت:

ـ مايسي؟ ياعزيزتي.. ادخلي الى هنا!

فتقدمت نحو الباب المفتوح لتقف محدقة في الغرفة. كانت الأميرة أفضل حالاً.. ونظرة الألم قد بارحت وجهها. كانت مرحة تجلس تحت أشعة الشمس المتدفقة من النوافذ. الى جانبها على السجادة طفلان أسمران يلعبان، وفي مواجهتها امرأة جميلة. وأشارت إليها الأميرة مبتسمة لتدخل:

ـ مايسي... لدي زوار كما ترين، وأنا سعيدة لتعرفك إليها. هذه حفيدتي.. باسكال.. وهذه جانيت وهذا شارل.. إنه يشبهني هه؟

ووضعت يدها بحنان على رأس الصبي المحدق بمايسي، بينما وقفت باسكال ومدت يدها:

ـ مايسي..

وكأنما تسير في نومها تقدمت مايسي نحوها تعانقها، محدقة

في وجهها، والمرأة تبتسم. وأدركت مايسي أنها أكبر منها سناً، لكنها جميلة جداً. والابتسامة تضيء عينيها. وضغطت المرأة على يد مايسي بحرارة:

ـ أنا سعيدة جداً.. تمنيت تلك الليلة في الحفلة أن التقي بك. لقد سمعت كثيراً عنك... من كورد.

ـ كيف حالك؟

فضحكت باسكال:

ـ أنا وكورد نعرف بعضنا منذ زمن طويل.. زوجك رجل عظيم. أستطيع أن أتحدث عن هذا الآن، كما أظن؟

التفتت بسؤالها نحو الأميرة، فهزت الأميرة رأسها، فاستدارت باسكال ثانية الى مايسي، ولا تزال تمسك بيدها:

ـ يجب أن تسامحيني.. فأنا سعيدة جداً، لتمكني من الحديث بصراحة الآن، بعد عدة أشهر. لقد مر عليّ بؤس كبير ولا بد أن كورد أخبرك بشيء عنه؟

تبادلت مع جدتها كلاماً سريعاً بالفرنسية لم تفهمه مايسي تماماً ثم ضحكت.

ـ إذن.. لم يقل لك شيئاً؟ هكذا دائماً. يقوم بأشياء مذهلة، ولا يتكلم عنها مطلقاً. إنه بطل لكن بطل متكتم. ليس مثل الفرنسيين.. لا يعرف التفاخر.

جذبت مايسي بلطف ليجلسا جنباً الى جنب وأكملت:

ـ زوجي عمدة بلدته.. كنا نعرف دائماً أنه في خطر، ورغم كل الاحتياطات والحذر خطف.. منذ شهرين بينما كان في طريقه الى مكتبه، أوقفوا سيارته وقتلوا سائقه.. يجب أن لا أتكدر.. لقد انتهى الأمر الآن.. ولكن مايسي لا يمكنني تصديق ما جرى

حتى الآن. لقد طلب الخاطفون شروطاً سياسية، بضع سجناء يطلق سراحهم مقابل إطلاق زوجي... وإلا..! أجبروه على تسجيل الرسائل وكتابتها، وطلبوا المال أيضاً. لكن الحكومة لم توافق على مطالبهم.. فتملكني اليأس.. وأرسلنا الى كورد نطلب منه الحضور فجأة على الفور.. إنه يعرف فرنسا جيداً، وعمل في مثل هذه القضايا من قبل...

وصمتت لتنظر الى مايسي الجالسة بصمت تستمع:

ـ هكذا تطوع كورد ليكون الوسيط.. وتولى أمر التفاوض.. بالرغم من خطورة الموقف. أتعلمين ما كان سيحدث لو حصل أي خطأ؟ أعطى الخاطفين المال بنفسه، وتفاوض معهم.. لكننا لم نعرف بهذا.. وفجأة.. قبل مجيئكما الى هنا.. تلقينا هاتفاً يبلغنا بتحرير زوجي دون أذى، ولهذا السبب أقامت الأميرة الحفلة بمناسبة حرية زوجي وسلامته، وإعادة اتحاد عائلتنا.. ولكورد.. ألم تعلمي بهذا حقاً؟ ألم يقل لك كورد شيئاً؟

قابلتعت مايسي ريقها بصعوبة، تحس بالدم يتصاعد الى رجنتيها.. فجأة اتضحت لها أحداث كثيرة صغيرة، وأجابت بصوت متهدج:

ـ أنا.. لم أكن أعلم بشيء.. أنا سعيدة جداً بما عرفته وسعيدة لأجلك..

ضغطت على يد باسكال وصمتت وأحست بالدموع تتدفق. فبدا القلق على وجه باسكال فوراً، ولفت ذراعها حول كتفي مايسي، ثم وقفت الأميرة متقدمة نحوهما.

ـ مايسي... لا تكدري نفسك.. لقد انتهى هذا الأمر عزيزتي.

www.liilas.com

فرفعت مايسي وجهها المبلل بالدموع الى الأميرة:

ـ لماذا لم تخبريني بهذا من قبل؟

ـ ليس من واجبي شرح هذا لك.. كنت أعتقد أن كورد سيعود باكراً.. لكنني أيقنت أن من واجب باسكال أن تشرح لك.. وكنت على حق.. أليس كذلك؟

ـ أجل.. أنت على حق.

تعانقت المرأتان، ثم وقفت مايسي. أحبت أن تخلو بنفسها، لم تعد تستطيع البقاء في الغرفة لحظة، حتى أمام لطف كهذا. وأحست الأميرة بما تريد، فأشارت الى باسكال التي وقفت على الفور. وابتسمت الأميرة:

ـ والآن أتفضلين التمشي قليلاً أم ترغبين بالراحة؟ فباسكال تود رؤية الحديقة.. ووعدنا الأولاد باللعب هناك.

فهزت مايسي رأسها شاكرة:

ـ أجل.. وربما بعض التمشي في الهواء الطلق..

وعانقت باسكال ثانية وقبلتها:

ـ أنا سعيدة.. مسرورة جداً. لك وللأولاد.

وضحكت مايسي. خرجت من المنزل، ثم استسلمت لدفء شمس بعد الظهر. وسارت هائمة دون الاهتمام الى أين، الى أن وصلت الى النهر. من هناك استطاعت رؤية مشارف باريس.. ومن بعيد للجهة الأخرى الفندق الذي كانت تنزل فيه مع كورد.

ـ مدام باكلير؟

أفلتت من صمتها لتجد سائق الأميرة. أصبحت على معرفة وثيقة به الآن.. كان ينظر إليها والخطوط حول عينيه، وهذا أقرب مايصل إليه من الابتسام.

ـ أتحبين الخروج في رحلة سيدتي.. إنها أمسية جميلة.. ربما نذهب الى الفندق؟

ترددت مايسي للحظات، ثم هزت رأسها:

ـ أجل.. سنذهب.. شكراً لك.

عند مدخل الفندق قال لها:

ـ أتريدين أن أنتظرك سيدتي؟

نظرت الى نوافذ الفندق وشرفاته، وهزت رأسها.. لا داعي للانتظار ستعود لوحدها. فهز كتفيه، وانطلق عائداً.

للحظات وقفت مايسي تنظر الى واجهة الفندق تفكر أي منهما قال الحقيقة عن زوجها لير أم باسكال؟ ومتى ستصدق كورد نفسه: وهو يتحدث إليها بمثل تلك الكراهية، أم عندما يلامسها بحنان في ساعات الليل الطويلة؟

فجأة تملكتها رغبة قوية لرؤية الغرفة التي قد تجيب على سؤالها.. فتقدمت نحو الفندق.. هنا ستستعيد ذكرى ما حدث وهو الشيء الوحيد الرائعة منه. وبسرعة دخلت البهو.

كان فارغاً، هادئاً.. من مكتب المدير تناهت إليها أصوات.. طاولة الاستعلامات فارغة.

قطعت البهو، وصعدت السلم لتصل الى الطابق الأول. قد تكون الغرفة مقفلة.. إلا إذا تركتها إحدى الخادمات... أمسكت بمقبض الباب وأدارته، فانفتح. ودخلت ثم توقفت.. مرتبكة.

شخص ما كان هنا.. إحدى النوافذ مقفلة والأخرى مفتوحة، هواء خفيف كان يحرك الستائر، وتناهت إليها الأصوات من الشارع البعيد. الخزانة مفتوحة، الفراش مرتب، وعليه حقيبة رجل سوداء جلدية. على الفور أحست بصوت من الشرفة، وتحركت الستائر

www.rewity.com

لتشاهد خلفها طيف رجل طويل أسمر، يستدير عائداً الى الغرفة:

ـ من هناك؟

لقد رآها.. فتوقف. أذهلتها المفاجأة فلم تعد تقوى على الحراك أو الكلام.

تحرك الرجل أولاً.. ودخل الغرفة. ثم توقف، ووجهه في الظل. حدق بها جيداً.. فخفق قلب مايسي.. وفكرت باوتباك: إنه يعرف.. ما أحست به في الكنيسة اليوم وصل إليه.. فتحت ذراعيها بسرعة وتقدمت نحوه.

ـ كورد.

لم يتحرك، فتعثرت خطاها.. وتوقفت على بعد ذراعين منه. والتقت عيونهما. فتحسست برودة نظراته وارتعشت. كل الفرح والسعادة اللذان أحست بهما فجأة ذهبا أدراج الرياح وانقبض قلبها ببرودة لم تتوقعها.. فابتسم بدهاء:

ـ أجل.. وأنا آسف لخيبة أملك مايسي!

هذه الكلمات التي نطق بها كورد حطمت شيئاً ما في داخل مايسي ودموع الغضب تقفز من عينيها، وصاحت:

ـ كفّ عن هذا يا كورد! لن أسمح لك بقول هذه الأشياء. لن أسمح لك بالتفكير بها.. بعد الآن!

لاحظت أن عنقها أذهله.. وعلمت أنه سيناطحها، فأسرعت لتستمر بالكلام، آملة أن لا يخونها صوتها:

ـ لا.. لا تقل شيئاً. ستصغي إليّ! أقسم أنني.. أنني لن أتركك تترك هذه الغرفة.. ليس هذه المرة.. الى أن..

واقترّ فمه عن ابتسامة ساخرة:

ـ وكيف ستفعلين هذا!

ـ لا تسخر مني!

وخطت نحوه، وهي تتكلم، حتى أصبحا متواجهين وعيناها متقدتان.

ـ هذا ليس عدلاً كورد! مهما أكن قد فعلت، على الأقل يجب أن تتوفر لي فرصة للكلام دفاعاً عن نفسي.. لن أسمح لك بلعب دور الحاكم والجلاد كما يحلو لك. أنت تحكم عليّ من خلال الماضي بأشياء حدثت منذ سنوات. ولن أسمح لك بهذا.. وأنت في مطلق الأحوال لا تحاكمني، بل تحاكم أمي!

ووصلته شحنة الغضب.. ولاحظت هذا.. فتراجع قليلاً، بعينيه المظلمتين ووجهه المتجهم:

ـ أهذا رأيك؟

ـ إنه أكثر من رأيي.. إنها الحقيقة!

نهز كتفيه مستديراً عنها:

ـ حسناً.. لكن أتعلم ما في الأمر. ولا يمكن الإنكار.

ـ ولماذا تكون عنصراً هاماً؟ هذا ليس عدلاً وأنا بالكاد أعرفها! إنها ميتة منذ عشر سنوات. ومن يعلم دوافع تصرفاتها تلك؟

قال ببرود:

ـ أنت ابنتها.

ـ وأنت شقيق ليو.. ذلك الرجل الكريه من دمك ولحمك..! لكنني لا أحكم عليك من تصرفاته.

استدار غاضباً من كلامها وعيناه تلمعان:

ـ أتذكرينه أمامي؟ الآن؟

ظنته سيضربها، فرفعت يدها لتدافع عن نفسها، لكنه نظر إليها

www.rewity.com

بازدواء:

ـ أهذا رأيك بي؟ أتظنيني قد أضرب امرأة؟ أوه مايسي.. أنت تخلطين بيني وبينه مجدداً.. فهذه شيمة ليو وليست لي. أوه.. يالله عليك! اغربي عن وجهي.. لا أطيق النظر إليك!

ـ لن أفعل! كورد أرجوك..

ـ حسناً.. تابعي.. ماذا ستقولين؟ ما هي الأعذار التي اختلقتها خلال الأيام الماضية؟ هل ستقولين إن ما شاهدته ليس غلطتك؟ أم أنك لم تستطيعي مقاومة ليو وانك اشتقت إليه؟ وإنك لم تبالي كيف وأين يحدث ذلك؟ وعلى الأرض كالحيوانات.. كان بإمكاني قتلك، أتعلمين هذا؟ أكنت تفكرين به طوال الوقت؟..

أمسك بها بين ذراعيه يجرها أمام مرآة الخزانة كي تواجه صورتها:

ـ انظري الى نفسك مايسي.. وجه عذراء.. لكن بنفسية عاهرة.

فصاحت به:

ـ هذا غير صحيح! توقف عن معاقبة نفسك كورد.. توقف عن معاقبتي.. هذا غير صحيح!

مد يديه بعنف نحوها، فضربتهما لتبعدهما عنها صائحة:

ـ لا! لا تلمسني! لا أطيق لمستك وأنت تظن بي هذه الظنون.. كيف تمكنت من النوم بين ذراعي وأنت مؤمن بهذه الأكاذيب؟ كلها خاطئة كورد! أنت لم تسألني مرة عن حقيقة ما حدث. حتى إنك لم تمنحني فرصة للكلام. إن أي رجل كان

يمكنه معرفة ما حدث. حتى في تلك الأيام.. لكنك فضلت أن تصدق أخاك. وكل قذاراته وأكاذيبه.. أنا أكرهه.. ولطالما كرهته. لكنك صدقته لأنك أردت ذلك. لأن ما قاله يناسب ما تؤمن به، بأنني مثل أي ألبس كذلك؟ لماذا صدقته كورد؟ أهو تبرير لكراهيتك لي.

ـ هذا غير صحيح.. لقد سألتك يوماً، لكنك هربت ولم تفوهي بكلمة.. وسألتك في أوتارا.. حاولت إجبارك على الكلام.. حتى هنا.. اللعنة على كل شيء.. كنت تعرفين تماماً ما هي أفكاري.. خاصة عندما علمت أنني الأول في حياتك، وأن ليو لم يلمسك.. اللعنة عليك مايسي.. كم مرة اضطررت أن أسألك وأنت تتهربين من الإجابة؟

ـ لم أستطع أن أتذكر!

ـ كم هذا مقنع!

ـ لكنها الحقيقة. كورد، كان يمكن أن أقول لك ولكن كان يتقصني الدليل، ولا أستطيع إحضار شهود على ذلك.. إذا لم تصدقني.. كورد.. ما حدث في فنكوفر.. مع ليو.. هو أجبرني عليه.. جاء الى غرفتي وقال أشياء رهيبة، عن أبي، عنك، عن والدتكما.. إنه يكرهك كورد، كراهيته نوع من المرض لديه.. لم يكن يريدني أنا حقاً.. لكنني كنت لديه أفضل وسيلة تسبب لك الألم.. كي يحطم شيئاً يعرف أنك تحبه.. حاولت أن أرفعه عني.. ومرورت بحلم بطيء، لم أصدق أنه يحدث، ووضع يده فوق فمي كي لا أصرخ.. ولو لم تحضر عندها..

تأوه متألماً واندفع نحوها.. وعيناه تحملان علامات الغضب!

ـ مايسي.. لكنك لم تقولي شيئاً..

www.rewity.com

- لم أستطع.. لم أستطع.. ألم تفهم هذا؟ كان يكذب وشاهدت الشك في عينيك.. صدقته بينما أنا أحبك كثيراً!

- مايسي...

- لم أستطع البكاء على أمي، مع أنني حاولت.. كل مااستطعت التفكير به هو الدعاء: أوه يا إلهي.. لا تدعني أصبح مثلها.. لكنني بعد تلك الليلة في فنكوفر لم أرَ أباً منكما سوى في المآتم.. بعدها أجبرت نفسي على النسيان.. أتصدق هذا يا كورد؟ وعندما جئتك الى المكتب، وظننتك ليو، وحاولت أن... ثم بعد زواجنا عندما جاء خلسة وأمسك يدي، أحسست بالغثيان، ولم أستطع التنفس. مع ذلك لم أتذكر الماضي.. صدقني كورد.. لم أتذكر قبل حادثة غرفة المراكب تحت القصر.. ذلك المكان الرهيب حيث أمسك بي ولم يتركني واستمر في لوي ذراعي يضحك مني، ثم وضع يده على فمي كي لا أصرخ. عندها تذكرت نفس الموقف في الماضي.

وتقدم كورد يضمها:

- أوه! يا إلهي! سأقتله. فليساعدني الله.. سأقتله لأجل مافعله بك!

- كورد.. لا! لا تفعل هذا، لا تفكر به حتى، ألا ترى أن كل مايريده أن يؤلمنا.. أن يؤلمك أنت؟ لكنه لن يستطيع أن يؤلمك، طالما أنت تصدقني.. فلا شيء يفعله أو يقوله يجعلني أتغير.

مدت يدها بلطف لتلمس وجهه، تحاول محو الألم الذي سببه الغضب:

- أحبك كورد، من كل قلبي.. أحبك دائماً.. ولا أحد غيرك..

عانقها عناقاً حاراً وهو يردد بانكسار:

- يا حبيبتي.. يا حبيبتي..

ألقت بوجهها على صدره.

- أوه.. إلهي! أرجوك كورد.. قل إنك تصدقني.. لا شيء غير هذا يهمني!

- تعرفين أنني أصدقك.. لطالما صدقتك في صميم قلبي. كنت أنت الحقيقة الوحيدة في حياتي.. والأمل الوحيد في كل الفوضى التي صنعتها بنفسي.. والنور الوحيد في ظلامي حولي. لكنني لم أستطع التصديق هنا.. في رأسي.. كنت أعيش في جحيم طوال هذه السنوات. كنت المرأة التي أحببتها والتي أموت لأجلها.. المرأة التي لازلت أحبها.. والتي ملكت عليّ كل حواسي.. ولعشر سنوات خلت.. هذا ما لم تعرفيه قبل الآن.

- أعرف أنني أحبتك.. لكنني ظننت أن...

- حبيبتي.. لم يكن في حياتي سواكِ، وكان يجب أن أعود إليك.. آرم.. كل ما حدث كان غلطتي.. لو لم أكن أحمقاً وغيوراً.. تعالي إليّ مايسي.

وجذبها نحو النافذة ليجلسا الى الكنبة، وجلس قربها يمسح الدموع عن وجهها. وعندما هدأت أمسك بيدها وقال:

- أتسمحين لي أن أشرح لك؟ أرجوك مايسي.. لن يبرر هذا ما فعلته، وكيف فعلته، لكن قد يساعدك على الفهم.. لا أريد أن تبقى أية أكاذيب بيننا أو سوءتفاهم.

صمت قليلاً، ينظر الى البعيد خارج النافذة ثم تابع:

- في البداية.. كان نوعاً من الجنون.. كنتِ الحقيقة الوحيدة في حياتي.. وظننت أن هذا الواقع زال، فحاولت تحطيم ذكراك..

www.rewity.com

فعلت كل ما بفعله اليائس.. حاولت التظاهر لنفسي أنني قادر على نسيانك.. لكنني لم أنجح.. بل جعلت من ألم الخسارة يزداد سوءاً.. ولم أرِ عائلتي حتى والدي. ولم أستطع تحمل وجودي في مكان قد يُذكرُ فيه اسمكِ.. أتذكرين ما قلته لي عن ابيغال؟ قلت إنها «عابثة».. أحببتك رغم خوفي أن تكوني مثلها أردت أن أكون معك، أن أحميك. أعطيتك الحنان الذي أعطيته بسخاء للجميع، لابيغال.. لأبيك.. وكنت واثقاً أنك تحبينني.. رأيت هذا في عينيك، وفي وجهك.. آمنت بهذا كما لم أؤمن بشيء في حياتي.. ثم اعتقدت أنني فقدت الحقيقة.. ولم يبقَ شيئاً!

- أوه.. كورد!

- هذا ما أحسست به.. وعندما مرض والدي بدا لي واضحاً أن المؤسسة تنهار، فوافقت على المساعدة، وبدأت أتحقق من الحسابات.. ووقع نظري على ملفك، ولأن رؤية اسمك على الورق كان كصلة وصل لي مع الماضي، دققت فيه.. كان كله أخطاء. فعمتك لم تترك لك الكثير، لكن ما تركته كان يتبخر بطريقة ما.. وراجعت حسابات الزبائن الآخرين، فاكتشفت ذات الأمر. عندئذٍ أدركت أن ليو هو الوحيد الذي طالما كان ضعيفاً أمام المال.

- مالي أيضاً؟ هذا مستحيل!

- لكنه صحيح!

- قال لي ليلة رأيته في غرفة القوارب إنه كان يفعل شيئاً من هذا وإنك كشفت أمره. لكنه قال... إن ابيغال ساعدته وانه كان على علاقة معها...

- إنها كذبة أخرى من أكاذيبه.. فهي أقل خبرة منه في هذا

المجال. لقد اعترفت بما فعلت، وانتهى الأمر الآن. وستبدأ حياة جديدة..

- لكن.. هذا يعني أنك كنت تعرف قبل أن آتيك الى مكتبك... أي قبل أن أراك؟

فابتسم:

- أجل.. كنت أعرف.. لكنني لم أستطع إقرار ما يجب أن أفعله. الأسوأ أنني كنت سعيداً بكل هذا لأنه أعطاني الفرصة لرؤيتك.. والمؤسف أنني كنت أعاقب ليو على ما حدث بينكما وليس على ما اختلسه من أموال الزبائن، وهذا هو الانتقام، وليس العدل. وما فعله ليو لا يمكن أن يحتمله والدي فحرصت على كتمانه للحفاظ على بصيص الأمل والسعادة في حياته..

- وماذا فعلت؟

- لا شيء.. تعرفين كل ما حدث. ذات صباح وجدتك تقفين بباب فلم أصدق عيني.

- وادّعيت بأنك ليو؟ وتركتني أؤمن بأنك هو؟

- اللعنة! أجل لكنني لم أخطط لما حدث.. وصدقت أنك نسيتني.. وكنت مضطراً لاكتشاف الحقيقة.. فقد لا تتاح لي فرصة أخرى.

- وهل اجتزت الامتحان؟

وهو يبتسم:

- أجل.. لكنك فشلت في الامتحان التالي.

- عندما جئت الى منزلك؟

- تماماً.

- أكان علي القبول بمطالبك اللاأخلاقية؟

www.rewity.com

- كنت راغبة.. كما أذكر.

- لا.. لم أكن راغبة!

مال نحوها ليقبلها ويسأل ساخراً:

- هل أنت واثقة؟

- كل الثقة.

دفعته قليلاً ثم أكملت:

- لن تغلبني.. أتذكر كم كان اقتراحك مشيناً.

- كنت أنتظر دليلاً، كي أتقدم باقتراح شريف. لكنك عندما بدأتِ بخلع ملابسك..

أخفضت مايسي عينيها خجلاً من الذكرى:

- أكنت ترغب بي، بالرغم مما قلته؟

- اللعنة عليك! تعرفين هذا!

أحست مايسي بالرغبة ثانية.

- كورد..

- لا.. انتظري.. واصغي إليّ في ذلك اليوم كنت خائفة ومذعورة.. ولم أشعر بمثل ذلك الخجل في حياتي. وكدت أن أستسلم.. لأدعك فيما بعد وشأنك.

- والزواج؟

- آه الزواج!

أمسك بيدها ملاطفاً وأخذ يعبث بالخاتم الذهبي وتابع:

- ما رأيك أنتِ؟

- ظننت أنك تود معاقبتي.. أو معاقبة نفسك.

- أوه.. لا مايسي، عقابنا هو في الفراق، وليس في الزواج.

- هكذا إذن؟

رفعت يده الى فمها تقبلها، فشاعت الارتياح على وجهه، وقال:

- أعرف أنه لم يكن طلباً رومانسياً، يا حبيبتي.

فضحكت مايسي، وتابع يقول:

- لعبتُ دور محامي الشيطان، وفكرتُ بأنني لو كنت صريحاً في طلبي الحقيقي لرفضتني على الفور..

- وهكذا فكرت بقليل من الخداع؟

- ظننت الغاية تبرر الوسيلة، ولو لمرة واحدة. وأذكر أنك اخترتِ تلك اللحظة لتوضحي لي أنك لا تحبيني..

- لم يكن ذلك صحيحاً.

- هل أنت واثقة مايسي.

- أجل.. لطالما عرفت يا كورد أنك تحبني، وأنه من المؤلم لك الاعتراف.. كما كان بالنسبة لي.. لكن يوم الزفاف في الكنيسة.. تأكدت رغم خوفي في البداية.. وبدا لي أنه من الخطيئة الالتزام أمام الله وقطع الوعود الكاذبة.. فما اتفقنا عليه يجعل من كل مراسم الزواج كذبة.. أليس كذلك كورد؟ وكنت على وشك مقاطعة الكاهن.. لكنك..

- أسكت بيدك.. أليس كذلك؟

- أجل أسكتَ بيدي، وفجأة تلاشى كل الخوف، وأحسست بالفرح، والسكون. وعرفت أن الأمر لم يكن كذبة، أتفهمني؟

- أوه.. لقد عنيت كل ما وعدت به وأقسمت عليه.. من كل قلبي.

- أنا كذلك. ولكنني اعتقدت أنك لم تَصْدُقِني الشعور ذاته..

- ليس في تلك اللحظات.

www.liilas-community.com

- والآن؟

- الآن.. أجل حبيبي.

تركها بلطف ليسألها:

- إذن.. الأفضل أن تخبريني.. أين كنت هذا الأسبوع؟ عندما كنت مسافراً، أكاد أجن من قلقي عليك.

فضحكت:

- كنت أفكر بك. في قصر الأميرة.. أنا واثقة انك طلبت منها العناية بي. لا تنكر هذا.

- ربما.. وهل أخبرتك كم أحب زوجتي يجنون؟ ولا أستطيع العيش دونها؟ لديها تعليمات صارمة أن لا تخبرك!

- لمحت لي بتحفظ.. وسعتْ ما يوسعها لأنقي بياسكال.

- ولم يعد لديك أية شكوك سخيفة؟ ولا غيرة؟ ولن يكون هناك سبب حبيبتي.

- أعرف هذا الآن، وأشعر بالخجل.

- لا تخجلي حبيبتي.. فالغيرة هي الوجه الآخر للحب، لكنه الوجه المظلم. ولا يمكن الإدعاء بأنه غير موجود.

- وماذا عن ليو؟

فتنهد:

- عالجت الأمر دون أن يعرف والدي.. وهو أفضل حالاً لكنه لن يعيش طويلاً... ابو سيرك الملس في المؤسسة ويعيش خارج البلاد... وسأخصص له راتباً، شرط أن لا يحاول فعل ما فعله ثانية، وأن لا يقترب منك أو من العائلة. وهذا كل شيء.

- أي نوع من النفي؟!

- إذا أحببت هذه التسمية. فهو الذي انتفى ومنذ سنوات.

وأتصور أنه سينتهي الى ما هو عليه والدك.. ولن يزعجنا بعد الآن، ولن يلمسك، قلت له هذا.

- كورد...

- كفي عن الكلام.

- لكن..

- تعالي الى هنا يا امرأة.. يا زوجة، يا إلهي مايسي.. مرت عشرة أيام بلياليها بعيداً عنك.. أوه يا حبيبتي..

وتعانقا مجدداً تلفهما الرغبة والشوق والحنين. فأنارت السعادة وجهيهما وسمعته يقول:

- مايسي.. وداعاً للخصام والأكاذيب وكل الخلافات ولن يكون بيننا بعد اليوم ما يمكر صفو حياتنا حبيبتي.

هزت رأسها وضحكت. على الفور مدت ذراعيها حول عنقه، فتمسك بها:

- لماذا ضحكت؟ بما كنت تفكرين؟

لا شيء.. لكن.. كنت أفكر لماذا لا تزيد على ما ذكرت أن لا تغضب بعد اليوم.

- لماذا؟

- لأن الأميرة أخبرتني ماذا أفعل لو غدت للغضب. هذا كل شيء.

- وماذا قالت لك؟

- قالت يجب أن أمحو غضبك بالحب.

- فقط عندما أغضب؟

- حسناً.. ربما حينها فقط..

- لكنني لست غاضباً الآن.

www.liilas-world.com

- لا.. ومع ذلك..

مررت بأصابعها فوق شفتيه واقتربت منه حتى لامسته، فقال:

- مع ذلك ماذا يا مايسي؟

فارتجفت، لكن جسدها امتلأ طمأنينة وهدوءاً، وقالت:

- مع ذلك... ستبقى حبيبي يا حبيبي!

☆☆☆

Sarah
www.rewity.com
سما الياقوت